من آن لآخر يأتى الزائرون من مختلف أقطار العالم الإسلامى يحملون ما استطاعوا من أموال وملابس ودواء لإخوانهم الأفغان، ترى شيخا يوزع المال على المرضى وشابا يحمل اللحم والأرز من معسكر لآخر ــ صوره طيبة للتكافل الاسلامى ــ على أن تشييد مشاريع غذائية أصبحت ضرورة ملحة وعلى الهيئات الإسلامية أن تتبنى مثل هذه المشروعات ويشعر كل منا بالحزن البالغ حينما يشاهد صبيا صغيرا يسأل المارة فى الشارع أو يحمل ورقة كتب فيها أنه يتيم بعد أن أستشهد أبوه. إلى متى يتجاهل المسلمون هؤلاء البؤساء؟ من يُلام على ترك هؤلاء الصبية جوعى يسألون الناس. أن قليلا من مال المسلمين المترفين فى أنحاء الدنيا تحفظ كرامة إخوانهم من الأفغان وتحميهم من ألم الجوع وذل السؤال. إن أعداد اليتامى والأرامل تزيد يوما بعد يوم، ويزداد معها البؤس لآلاف الناس، إن كل ساعة تمر تشهد تساقط العشرات من وطأة الفقر والمرض.

الظـــروف المناخيـــة :

من أبرز الأشياء التى تزيد معاناة المهاجرين سوء الأحوال المناخية فى مناطق الهجرة، فالصيف شديد الحرارة والشتاء شديد البرودة. لا يمكن الاستغناء عن المراوح أو أجهزة التكييف فى الصيف وعن المدفأة فى الشتاء. لقد قدم المهاجرون من مناطق معتدلة المناخ فى أفغانستان مائلة للبرودة فى الشمال، وجزء محدود من الأراضى الأفغانية يتميز بالحرارة المرتفعة. فى بشاور بباكستان تسجل أعلى معدلات الحرارة فى العالم، فستوى الأرض منخفض والرطوبة عالية. المعاناة من الحر يلمسه جميع من يزور هذه الأماكن، ومع موجات الحرارة العالية تكثر الوفيات من المهاجرين فهم لا يملكون ما يحميهم من الحر، لا يملكون أجهزة للتكييف أو مراوح الكهرباء غير موجودة فى أكثر المعسكرات حتى الماء النظيف غير متوفر فى الصيف، تشاهد مئات من الاطفال يلعبون ويسبحون فى مياه الترع هربا من شدة الحرارة. تعرف انقطاع التيار الكهربائى بالمستشفى حينما يبدأ صراخ الأطفال فجأة. الأمهات يحاولن التخفيف عنهم برشهم بالماء وبالتهوية

لا يحس الزائر للمدن الباكستانية التى يقيم بها الأفغان بالفرق بين الباكستانيين والأفغان فعاداتهم متقاربة وزيهم متشابه عدا حرص الرجال من الأفغان على أطالة لحاهم وتمسك السيدات الأفغانيات أكثر بالحجاب الذى غالبا يغطى الجسد كله ولا توجد صعوبة فى التفاهم بين الشعبين حيث يتكلم الباكستانيون فى الشمال الغربى بلغة الباشتو مثل الأفغان وبعضهم أيضا يتحدث اللغة الفارسية التى تلى الباشتو فى الانتشار بين الأفغان والمعاملات التجارية مستمرة بين الشعبين وتقبل الحكومة الباكستانية نسبة صغيرة من الطلاب الأفغان فى مدارسها وجامعاتها. كما تقبل المرضى فى مستشفياتها أيضا على أن يتكفلوا بإحضار الدواء وذلك يرجع أساسا لمشكلات باكستان الاقتصادية.

سمعت أحد القادة الأفغان يذكر أن الأفغان بباكستان لهم من المزايا أكثر من الباكستانيين أنفسهم فهم لهم حق التملك والبيع والشراء وكل شىء. إلا أن محاولات الشيوعيين فى تكدير صفو تلك العلاقة الطيبة قد أثرت بعض الشىء، ففى صيف ١٩٨٥ منعت الحكومة الباكستانية المهاجرين من حمل السلاح داخل مدينة بشاور وفى عام ١٩٨٦ بعد التفجيرات التى قام بها الشيوعيون داخل باكستان اضطرت الشرطة الباكستانية إلى التأكد من هوية بعض المارة وخصوصا فى الليل وخصوصا أن من يقوم بالأعمال التخريبية من الشيوعيين يتخفون بين المهاجرين وتضايق هذه الأجراءات الشباب الأفغانى فى المدن وإن شاء الله تزول أسبابها عن قريب وتستمر الثقة بين الشعبين المسلمين ويكونوا يدا واحدة فى مواجهة الالحاد والكفر ويحاول الشيوعيون بث الشائعات للوقيعة بين الشعبين ويدعون أن الحكومة الباكستانية تستغل المساعدات القادمة للمهاجرين وإن الاقتصاد الباكستانى استفاد من وجود المهاجرين والهيئات المعاونة لهم داخل باكستان ولكنى لا أعتقد ذلك فالضغوط التى تتعرض لها باكستان من جراء مساندتها للقضية الأفغانية تفوق بكثير أى نشاط اقتصادى تدخله الهيئات المعاونة للمهاجرين فى باكستان.

الأهلية الباكستانية تساعد المهاجرين فى مجالات أخرى مثل الجماعة الاسلامية ومن أنشطتها ادارة مستشفيات فى مدينة بشاور اهداء جراحين لعلاج المجاهدين وهى من أكبر المستشفيات العاملة لخدمة المجاهدين، ومستشفى لعلاج أمراض النساء، إلا أن هذه الجهود الأهلية يجب أن تكون أكثر من ذلك لتناسب حجم المشكلة الأفغانية. تتعرض باكستان لضغوط شيوعية كى تتخلى عن القضية الافغانية فدائما تغير الطائرات الشيوعية على معسكرات المهاجرين داخل الأراضى الباكستانية وأحيانا تشتبك طائرات البلدين معا، وفى صيف ١٩٨٦ أسقطت باكستان طائرة للشيوعيين قرب بلدة بارشنار الباكستانية. ويحاول الشيوعيون تدبير عمليات تخريب وقد رأيت آثار ذلك فى الطرق الباكستانية بالقرب من الحدود حيث نسف الشيوعيون عدداً من الكبارى الصغيرة على الطرق وكذلك انفجرت قنبلة بمكتب الخطوط الجوية الباكستانية فى بشاور وقطار فى محطة المدينة فى سنة ١٩٨٦. ودائما يقوم الشيوعيون بإثارة القلاقل داخل باكستان عن طريق دعم الشيوعيين الباكستانيين وتحريضهم على التظاهر واثارة المشاكل حيث تعتبر باكستان القلعة الاسلامية الوحيدة فى وسط آسيا الآن بعد سقوط أفغانستان فى أيدى الشيوعيين ولا يخفى على أحد مطامع السوفييت فيها.

أقامت الحكومة الباكستانية هيئة للاشراف على شئون المهاجرين مقرها الرئيسى فى مدينة بشاور ويتبعها فرع فى مدينة كويتا الجنوبية ويتبع الهيئة مسئولون تتدرج وظائفهم بحيث يوجد مشرفون فى المعسكرات وتسجل الهيئة أسماء المهاجرين لتوزيع المساعدات عليهم وحتى الآن فليس كل المهاجرين ولا سيما الذين وفدوا حديثا مسجلين لدى الحكومة الباكستانية. وأى هيئة أو منظمة أجنبية ترغب العمل فى مجال مساعدة المهاجرين يجب أن تحصل على تصريح من المسئول الباكستانى عن شئون اللاجئين ويسمى « Commisioner » وتعفى جميع المساعدات القادمة للمهاجرين من أغذية وأدوية وسيارات وغيرها من الجمارك الباكستانية وتنسق الحكومة الباكستانية مع قادة المنظمات الأفغانية فى مجالات متعددة وتتدخل أحيانا للتوفيق بينهم.

وجدران المنازل مرتفعه وإن كان أكثرها من الطين أو الطوب اللبن، المياه المستعملة فى النظافة تخرج من فتحات بالمنازل إلى مجارى ضحلة بالطرقات حيث لا يوجد نظام للصرف، قليل من الشوارع ممهدة فى القرية، أما الباقى فالعربات تسير بها بصعوبة بالغة وترتفع وتنخفض تبعا لظروف المكان، أما الطرق المرصوفة فإنها لا توجد ولن توجد فى تلك المعسكرات.

معسكرات مثل معسكر «منده» على بعد حوالى ٣٠ كم من مدينة بشارو يقع فى سفح جبل، مساكن المهاجرين تتناثر على السفح يفصل بينها وديان حفرتها الأمطار، الطرق رملية مليئة بالحجارة، ولا يرى إلا جدران طينية قليله الأرتفاع يظهر وسطها خيام. بعض المنازل من الطوب اللبن نوافذها ضيقة وإرتفاعها قليل. المساجد تتناثر بين المنازل جزء منها مغطى بفروع الأشجار والبوص والآخر غير مغطى. جزء صغير من أرض المسجد مغطى بحصر قديمة والآخر مغطى بالقش، لا يوجد أثاث يذكر داخل هذه البيوت فقد فر الناس بأنفسهم تاركين كل شىء خلفهم، ولا يوجد لديهم ما يحملون عليه أى شىء من داخل أفغانستان، نادرا ما تجد كرسياً واحداً داخل المعسكر، أحيانا يوجد سرير يصنع من قوائم وعوارض خشبية وشدت بينها حبال فى اتجاهات مختلفة تستعمل للجلوس والنوم. حقيقه لا يستطيع أى إنسان أن يصور مقدار البؤس والشقاء لهؤلاء الناس.

يحكى البعض ما يسمونه بحكاية العصا والبطانية، يذكرون أن كثيرا من الأفغان لا يملك من متاع الدنيا إلا بطانية يرفعها على عصا ويجلس بجانبها لتحميه من الشمس طوال النهار يدور خلفها كلما دارت الشمس ويصلى عليها يفترشها ويغطى نفسه بالباقى منها مساء ويتكرر ذلك كل يوم.

إذا تجولت بالمعسكرات تشاهد كثيرا من الاطفال يلعبون بالطرقات المتربة والعرق والغبار يغطى وجوههم وأجسامهم، كثيرا منهم حفاة والبعض ملابسه قديمة، ويتجمعون بسرعة حول أى زائر علهم يحصلون منه على أى شىء أحضره معه. سألنا صبيا ــ لاحظنا أن وجهه مغطى بالغبار ــ كم مرة

ويتعامل الباكستانيون بود ملحوظ مع الزائرين القادمين لمساعدة المهاجرين وخصوصا العرب والشعب الباكستانى مسالم وهادىء الطباع ولا يشعر أحد بالغربة حينما يتعامل معه ويدخل الزائرون لمساعدة المهاجرين ويقيمون بباكستان ويتنقلون داخلها بحرية.

المهاجرون الأفغان بباكستان :

يعيش معظم المهاجرين الأفغان بباكستان التى تشترك مع أفغانستان فى الحدود الشرقية والجنوبيه لأفغانستان والتى تقرب من ألفى كيلو مترات وتتفاوت الظروف المعيشية للأفغان تبعا لعوامل كثيرة أهمها فرص العمل ومدة الاقامة بباكستان.

فبعض الأفغان قد استطاع أن يجد عملا لنفسه مثل الأطباء، وبعض هؤلاء يسكن فى منازل متواضعة بالمدن الباكستانية أكثرها على أطراف المدينة وأحيانا يتجمع عدد منهم لاستئجار منزل واحد حتى يتمكنوا من دفع الايجار اللازم من دخولهم المحدودة. وتشبه هذه المنازل إلى حد كبير تلك التى يبنيها الفلاحون فى الريف المصرى، ويسكنها المحظوظون من الأفغان الذين يجدون عملا.

الغالبية الساحقة من المهاجرين يعيشون فى معسكرات بعضها فى الصحراء أو سفوح الجبال وبعضها بالقرب من المدن الباكستانية فى المعسكرات القديمة. أقام المهاجرون منازل جدرانها من الطين تعلو قليلا عن قامة الرجال، أما المعسكرات الجديدة فاغلبها من الخيام التى يحيط بها حوائط قليلة الأرتفاع من الطين. الطرقات بين المنازل ضيقة ومتعرجة فى أكثر المعسكرات. لاتوجد مصادر صحية للماء أو لتصريف الفضلات ويتم ذلك بإجتهادات شخصية فن المهاجرين من حفر بئرا للحصول على الماء أو أقام بيتا يأوى به أسرته.

أكثر المعسكرات نظاما هى قرية «بابى» التى كانت عاصمة لاتحاد المجاهدين شوارعها مستقيمة إلى حد ما، أسواقها متجمعة فى مكان واحد،

الأسواق داخل المعسكرات متواضعة للغاية الأصناف المعروضة بها قليلة وأنواع الخضروات ليست طازجة دائما. البعض من الأفغان يبيع من محلات قامها بالمعسكرات أو أستأجرها بالمدن من الباكستانيين. تجارة الأخشاب وهى عبارة عن سقيان وفروع الأشجار المهذبة. والحصائر من البوص كثيرة الانتشار بالقرب من المعسكرات حيث يستعملها المهاجرون فى إقامة منازلهم. لحوم الأغنام ضعف ثمن لحوم الماشية، والمعروض منها قليل إذ لا يوجد مشترون لها لقلة المال. نادرا ما يدخن الأفغان السجائر ولذلك فهى لا تباع بكثرة بينهم، ولكن البعض منهم خصوصا كبار السن يمضغون عشبا أخضر له رائحة غير طيبة يسمى «نسوار» ويحفظونه فى علب معدنية ويستنكر الكثير منهم استعماله ويخفى من يستعمله ذلك أيضا، ورغم كثرة المخدرات المعروفة فى مناطق الحدود، إلا أنه يلاحظ أن المهاجرين لا يتعاطون المخدرات ولا تمثل مشكلة بينهم حتى الآن.

أكثر الأفغان المقيمين بالمعسكرات ينتمون إلى مناطق واحدة داخل أفغانستان، وتعيش كل مجموعة من الأقارب فى منطقة واحدة بالمعسكر، ينزل عليهم أقاربهم الذين يفدون حديثا. ولذلك فالطباع متقاربه بين الناس داخل المعسكرات وقلما تحدث مشاكل بينهم. كما أن الجرائم الأخلاقية والسرقات نادرة الحدوث داخل المعسكرات، رغم عدم وجود أى قوى للأمن داخلها. فالذى يسير داخل المعسكرات لا يرى رجل البوليس أو مركز بوليس بها، واعتقد أن استتاب الأمور داخل المعسكرات يرجع إلى جودة طباع المهاجرين إذ يتوقع منهم جميعا أنهم خرجوا من بلادهم حفاظا على عقيدتهم ودينهم ويلاحظ أثناء توزيع أى من المعونات عليهم التى تكون غالبا قليلة عن الوفاء باحتياجاتهم عدم الاحتجاج من أى منهم أو سخطه لأنه لم يأخذ بينما أخذ الباقون جزءاً أكبر من المعونات، وينصرف فى هدوء.

لا يشعر الفرد الزائر للمعسكرات الافغانية بالغربة بين المهاجرين رغم اختلاف الظروف التى يعيشونها عما أعتاد عليه أى زائر لهم، إلا أن الإنسان منا يشعر كأنه فرد منهم يقرأ أفكارهم من تعبيرات وجوههم، يشاركهم الرأى

تستحم؟ قال: ٤ مرات فى الشهر فى ترعة قريبة من المعسكر. فإن امكانيات النظافة قليلة، الماء قليل والصابون يصعب شراؤه لعدم وجود المال. نادرا ما تشاهد النساء خارج المنازل، والرجال يتجمعون فى المساجد والأسواق ورغم شدة الفقر إلا أن ملابسهم دائما نظيفه وهيئتهم طيبة، أصواتهم خفيضة نادرا ما تحدث منهم ضوضاء وتمر بالمساكن كأنها خالية من الناس من فرط الهدوء.

تتبع بعض معسكرات اللاجئين الأدارة الباكستانية لشئون اللاجئين وأغلب هذه المعسكرات قديمة وبعض المعسكرات يتبع منظمات الجهاد الأفغانى، والبعض الآخر لم يسجل لدى أى هيئة حتى الآن وهذه المعسكرات أكثر الجميع بؤسا إذ أن على أهلها أن يدبروا كل شىء من الغذاء والماء والأمن ويحدث أحيانا أن ينزل المهاجرون مكاناً ثم يفاجئوا أن الحصول على الماء فى هذا المكان غاية فى الصعوبة إذ عليهم أن يحفروا مائة متر فى الأرض حتى يجدوا الماء وأن لهم ذلك بإماكانياتهم المتواضعة، حيث لا يوجد آلات حفر أو ماكينات لرفع الماء. وفى الطرق أحيانا ترى جدران مهدمه كآثار لمهاجرين نزلوا بهذه الأمكنه لفترات ثم رحلوا عنها لاستحالة الإقامة بها.

يلعب المسجد دوراً أساسيا فى حياة المهاجرين فهم دائما يتجمعون بالمسجد لبحث شئونهم أو الاجتماع مع الزائرين، وهم إن طلبوا شيئا فأول مايطلبون تحسين المسجد. مكبرات الصوت توجد فى بعض المساجد وفى المعسكرات التى تصلها الكهرباء، قد توجد مراوح فى السقوف إذ لاغنى عنها مع شدة الحرارة. يتوضأ الناس من صنابير مثبته بوعاء أسمنتى يملؤونه بالماء من آبار حفرت بالمساجد، وإمام المسجد يسمى «مولوى» وله دور كبير فى قيادة وتنظيم المجتمع المحيط بمسجده، ويعاون الزائرين على إيصال الهبات للناس. الأفغان يجلون المساجد بصوره لافتة للنظر فهم لا يدخلون الأحذية بها ولا يحدثون أى ضوضاء داخلها ويحرصون على نظافتها بقدر مايمكنهم، ويحيطون المصاحف برقائق متعددة من القماش ولا يضعونها على الأرض أبدا، ويتناولونها بحرص وتبجيل شديدين.

على أن يتزوجوا من أقاربهم وقريباتهم فقط ، والمهور فى أكثر مناطقهم باهظة ولا يتنازلون عن ذلك رغم قسوة الظروف التى يتعرضون لها ، وقليل من يقبل أن يزوج أبنته لغير الأفغان ، والمرأة الأفغانية لا تقبل على العمل كثيرا عدا المتعلمات منهن ، وفى المستشفيات الأفغانية فى بشاور نجد أن أكثر العاملات من الباكستانيات وقلة فقط من الأفغانيات رغم شدة حاجتهم للمال .

ويشاركونه كأن الجميع أسرة واحدة. تحس علامات الرضا بما قدره الله عليهم وتحس بالصلابة وقوة العزم رغم الفقر المحيط بهم من كل جانب. إلا إذا ذكر مايتعرضون له أحيانا من المضايقات داخل المدن أو جفوة المسلمين لهم. أنهم لا يحاربون معركتهم وحدهم إنما يحاربون معركة الاسلام كله. إنهم الطليعة المجاهدة لأمة تمتد رقعتها من مشرق الأرض إلى مغربها.

مسئولية رعاية الأسرة داخل مجتمع المهاجرين تختلف كثيرا عن المجتمعات العادية فالمرأة الافغانية تقوم بدور أكبر فى رعاية البيت نظرا لتغيب الرجال مدداً طويلة فى الجهاد داخل أفغانستان تمتد شهورا طويلة، وكذلك لكثرة عدد الأرامل نظرا لاستشهاد الآلاف من الأزواج طوال سنوات الجهاد، وقد تترك المريضة المستشفى رغم شدة مرضها لأن أطفالها أو بناتها بالبيت لا يجدون من يرعاهم.

كثيرا ما تجد رجلا واحدا منهم مسئولا عن رعاية عدد من الأسر، أسر اشقاؤه وشقيقاته التى استشهد رجالهم فى الجهاد، ويوزع القليل من المال الذى يستطيع الحصول عليه على تلك الأسر العديدة ويتقبل ذلك فى صبر. بل إن كثيرا من الشبان والشابات يجدون أنفسهم مضطرين لإعالة أسرهم فهذه طبيبة لاتعرف شيئا عن أبيها الذى اعتقله الشيوعيون فى كابول منذ سنوات، وتعيش مع أمها وأخيها فى بشاور. وآخر طالب بمعهد تعليم اللغة لا يعرف أيضا أبيه وعمه أميّتان أم معتقلان فى سجون الشيوعيين. انه مجتمع فريد يجب أن ينتظر الإنسان طويلا حتى يحكم عليه ليتفهم الظروف التى يعيشها فى أرض الهجرة وكيف كان يعيش من قبل فى أرضه ووطنه. لقد وجد الجميع أنفسهم فجأة غرباء فقراء بلا عمل، منهم من كان بالغ الثراء ذو مكانه فى مجتمعه كالعلماء وكبار الضباط والأطباء والمهندسون، كل هؤلاء شاء القدر أن يمتحنهم بالجوع والخوف والفقر. كل ذلك مرة واحدة!

ما زال الأفغان داخل باكستان يتمسكون بكثير من عاداتهم وخصوصا الريفيون منهم، ومن هذه العادات مايزيد صعوبة العيش لهم، فهم حريصون

ثالثا : أبحاث حول الآداب الشرقية والاسلامية

بدرَ الضُّحَى

الدكتور أمين عبد المجيد بدوى

* * *

قد لاح لى بدرُ السماء بضَحوةٍ ... فتحجَّبتْ شمسُ النهار حياءَ
عهدى ببدر التَّم فضىَّ السَّنا ... مابالُ بدرى كالورود رُواء
يتَسنَّمُ الميادَ من غُصْنِ الرُّبَى ... والمسك زادَ جبينَه لألاء
وتزيَّن الخدُّ الأسيلُ بقطرة ... من عَنبر تُغرى به إغراء
وافترَّت الشفتان عن رَطبٍ بدا ... للناظرين يتيمُه وضَّاء
ياطيبَ ريَّاها ولُطفَ عبيرها ... وسُموَّها فوقَ البدور سناء
أرادانها رقَّت رفيقَ فراشةٍ ... وشَّت جناحيها رُؤى تتراءىَ
وتأوَّدت أعطافُها فكأنَّها ... سردُ الرياضِ نضارةً ورُواء
خداها من نورٍ يَشِفُّ صَفاؤه ... عن حمرة الوردِ الجميل بهاء
وحديثُها همسُ النسيم لطافةً ... وشجىُّ تغريد الطيورِ حُداء
وتقاطرت همساتُها من خاتَم ... عَطِرٍ يُعطر روضةً غنَّاءَ
ياقوتُ مبسِمِها يضم لآلئاً ... زادتْ به حُسْناً وزادَ صفاءَ
خطرتْ فرف إزارها وكأنما ... رف الربيعُ منمنما وشَّاءَ
ورنت فكدت أذوب من ألحاظها ... وكأننى طفلٌ يذوب حياء
مرَّت مرورَ سحابة معطارةٍ ... رقَّت كما رق النسيم مساءَ
أحيا الثرى تقبيلُ موطئِ نعلها ... فتفتحت فيه الورودُ ثناءَ
عَلِق الفؤاد بها هوًى وصبابةً ... وكأنما رجع الشبابُ وراءَ
فزجرتَه وفللتُ غرب جِماحه ... وقتلتُ فيه رغيبةً رعناءَ
عشقُ الشيوخ غَوايةٌ وضلالةٌ ... ومهانةٌ تُزرى بهم إزراءَ

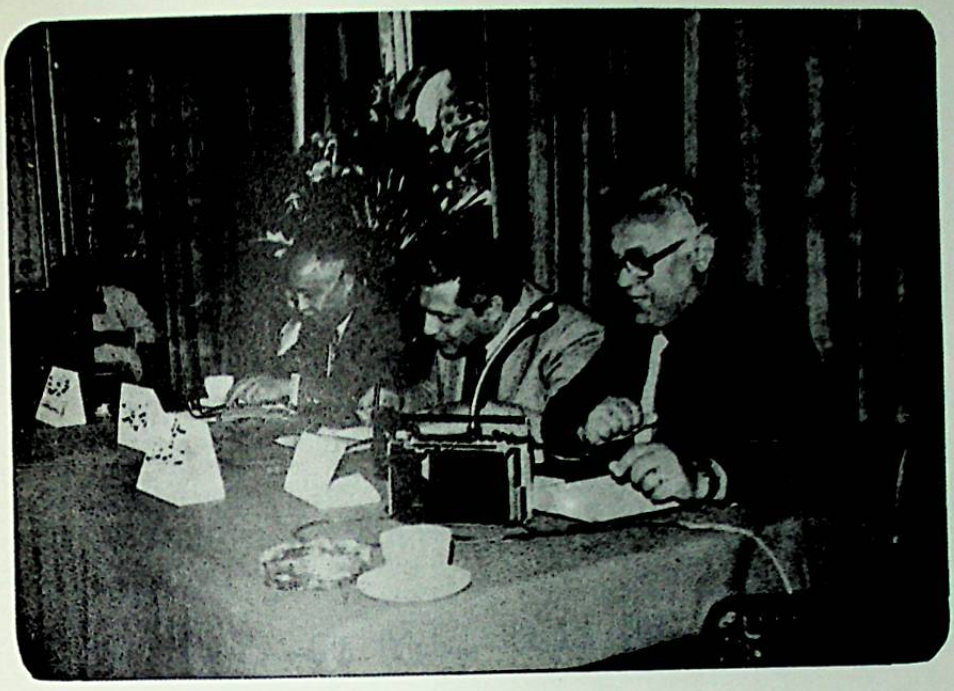

(٦) الجلسة الخامسة [د. الصفصافي أحمد المرسى يلقى كلمته وأ.د. محمد السعيد عبد المؤمن رئيس الجلسة وأ.د. مقرر الندوة].

(٧) الجلسة السادسة [التوصيات: أ.د. محمد السعيد جمال الدين رئيس الجلسة].

صورة مصر فى الأدب الفارسى

للأستاذ الدكتور/ بديع محمد جمعة رئيس قسم اللغة الفارسية وآدابها
بكلية الآداب ــ جامعة عين شمس

كانت مصر، ومازالت، محط أنظار العالم شرقه وغربه، فمن وافد إليها بقصد العلم والمعرفة، ومن زائر بهدف السياحة، ومن تاجر يشد الرحال إليها لما فيها من سوق رائجة.. إلى غير ذلك من الأهداف التى دفعت الكثيرين من أهل الشرق والغرب كى يحجوا إلى مصرنا العزيزة كلما واتتهم الفرصة.

وكثير ممن زاروا مصر كانوا من الأدباء الذين سجلوا خواطرهم نظما أونثراً وإذا أردنا أن نسجل كل ما كتب عن مصر فى الآداب العالمية، فسنحتاج إلى فريق عمل، وإلى سنوات عديدة حتى ننجز هذه المهمة.

كما أننا إذا حاولنا أن نسجل هذه الخواطر فى أدب أمة واحدة، فسنحتاج إلى عدة مجلدات، ولهذا فسنقصر حديثنا على فترة زمنية واحدة، وأعنى بها العصر الحديث فى الأدب الفارسى دون سواه من عصور سابقة، ودون الادعاء بأننا سنحصى كل ما كتب عن مصر فى هذا العصر، إذ ما أكثر الشعراء الإيرانيين والكتاب الذين زاروا مصر فى العصر الحديث وسجلوا خواطرهم نظما ونثرا.

ونظرا لضيق الوقت فسنكتفى بالإشارة الموجودة إلى بعض النماذج الأدبية التى سجل فيها شعراء إيران وكتابها انطباعاتهم وأحاسيسهم تجاه مصرنا الحبيبة.

* * *

للشيب هيبتُه وسَمْتُ وقاره حاشا أضيِّعُه هوًى وهباء
صيغَ الكمال مع الجمال فأشرقت شمسُ الأُنوثة حشمةً ونقاءَ
ياشمسَها لاتغربى عن أفقها وليبق نورك للحياة ضياءَ

* * *

ـ جميعُهم أتباعُ دين محمد
وكلُّهم حملةُ القرآن المجيدِ
ـ إن بكى مسلمٌ فى طنجةَ
توجَّع من أجلِه مؤمنٌ فى بدخشان
ـ وهكذا يكون طريقُ العباد
طريقَ الوحدةِ والاتحادِ!!

ومن الذين زاروا مصر وأُخذوا بجمالها الشاعر سيد محمود فرخ، وقد عبر عن إعجابه فى قصيدة بعنوان [جمال مصر] اجتزئ منها بضعة أبيات، وهذه ترجمتها:

جمال مصر(١)

ـ كم أصبحتُ بعشقِ مصرَ مفتوناً
وكم قضيتُ على هذا الحالِ عمرًا مديدًا
ـ سلكتُ هذا الطريقَ لا تأثرًا بالأساطير والتاريخ وحدَهما
بل لما لها من مكانةٍ كذلك فى كلامِ الله
ـ لقد ذكر سعدى مصرَ بالخير
كما أكثرَ حافظٌ من الحديثِ عن جمالِ مصرَ
ـ مصرُ فى خاطِرِى، إذ هى موطنُ الصفاءِ والجمالِ
وهذه الساحةُ لها فى قلبى كلُّ إعزاز وإجلالِ
ـ كلُّ مكانٍ زرتُه بالحسنِ مقسمٌ
وكل شىءٍ فيها يأسرُ الألبابَ والأفهامَ
ـ اكتظت المدينةُ والأسواقُ بالمشترين والبضاعةِ المنتقاةِ
وكل من امتلك الدرهمَ والدينارَ، اشترى ما تمناه
ـ ولكن لم يستطع أحدٌ أن يشترىَ قلبَ يوسفَ بلفافةٍ من خيطٍ
فيارب! كمْ هذه المدينةُ الخالدةُ جميلةٌ جمالَ زليخا!!

(١) سيد محمود فرخ، نقلا عن تذكرة شعراء معاصر ايران لسيد عبد الحميد خلخالى حـ١، جاب أول ١٣٣٣ بوُش ص ١٣٩ـ ٣٢٠.

والآن لنبدأ بذكر بعض ما قاله الشعراء الإيرانيون فى وصف مصر:

تحدث أحد الشعراء عن احتفاء المصريين بالنيل، فقال قصيدة بعنوان [سلام عليك يا نيل مصر] (١) نجتزىء منها هذه الأبيات؛ وترجمتها:

أيها النيلُ
سلامٌ عليك
تنسابُ كَى تحيا مصرُ
وإن تتأخرْ
فالحياةُ منساقةٌ إلى الهاويةِ
وإن تغضبْ
فعلى الوطن تحيقُ العاقبةُ
وإن تهدِرْ
فالأرضُ ومَنْ عليها
يتهللون بشرًا، ويَصْخَبُون فرحاً
أنت المَانحُ للخير الوفير
وأنت الخالقُ لكلِّ جَميل
شبابُك وأطفالُك
يهللون لك ويتغنّوْن بك
وها هُمْ يعظِّمُونَكَ
تعظيمَهُمُ الملوكَ !!

ومصر الإسلامية كانت ومازالت ركنا أساسيا فى اتحاد العالم الإسلامى، وإلى هذا المعنى أشار ملك الشعراء بهار وفى قطعة بعنوان [الاتحاد الإسلامى] (٢).

ــ الهندُ وتركيا ومصرُ وإيران
تونسُ وفاسُ والقوقازُ والأفغان
ــ هوياتُهم متباينةٌ، ودينُهم واحدٌ
أجسادُهم شتّى، وأرواحُهم متّفقة

(١) رستاخيز: عدد/ ٩٤٢ [الأحد ٢٨ خرداد، ٥ عام ٢٥٣٧ شاهنشاهى].

(٢) ملك الشعراء بهار: الديوان حـ ١، ص ١٥١.

غزاها وخرب مدنها وأطفأ نارها، ولهذا فإنه لم يقبل فى مجلداته الثلاثة أن ينطق باسم «الإسكندرية» وذلك لنسبتها إلى الاسكندر، وإذا اضطر لذكرها، أشار إليها بقوله: ميناء البر المصرى!

ولكن نتيجة لتعلقه الشديد بإيران وتعصبه لها، فقد كان حريصا فى كتابه سياحتنامه الذى وصف فيه إيران وتركيا والقوقاز، كان حريصا على عقد مقارنات بين ما رآه من إيجابيات فى مصر، وبين ما فى إيران من سلبيات، راجيا من مواطنيه العمل على تلافى هذه السلبيات والتشبه بالمصريين فى تطوير بلادهم وتجميلها.

ونظرا لضيق الوقت، فإننى سأكتفى بذكر أمثلة محدودة من الجزء الأول وحده، ومما قاله فى هذا الشأن:

وصف الكاتب حمامات إيران وما تتسم به عفونة ومياه آسنة، ثم انتقل إلى وصف حمامات مصر، حيث قال: أما حمامات مصر فالمياه محفوظة وبعيده عن كل تلوث حيث تنساب من الصنابير، وهكذا تتدفق المياه الباردة وكذلك الساخنة من الصنابير غاية فى الصفاء والنقاء، تنساب من جانب حيث يستحم المصرى، بينما تندفع المياه المستخدمة من جانب آخر.

وفى مقارنة بين ما يتعلمه المصرى فى المدرسة وما يتعلمه الإيرانى فى الكتاتيب، يقول الكاتب:

لقد زار إبراهيم بيك أحد الكتاتيب فى مدينة قزوين الإيرانية، وسأل الشيخ عما يتم تدريسه للتلاميذ، فأخبره الشيخ بأنهم يتعلمون الألف باء وجزء عم وأجزاء أخرى من القرآن الكريم، أما الكبار فيدرسون الكلستان والبوستان وأشعار حافظ وما شابه ذلك من أشعار.. ثم سأله الشيخ عما يدرسه الطلاب فى مصر، فقال له إبراهيم بيك: إنهم يدرسون إلى جانب ما ذكرت علوما حديثة كالجغرافيا والهندسة والحساب وغيرها من العلوم الحديثة..

وإذا انتقلنا إلى وسائل المواصلات، نجد الكاتب يتحسر على انعدام السكك الحديدية فى إيران تقريبا، حيث لم تكن بها فى ذلك الوقت إلا مسافة سبعة أميال فقط وهى المسافة التى تربط بين مدينة طهران ومزار

إذا حاولنا أن نتتبع ما جاء عن مصر فى الشعر الحديث، فسيطول بنا الحديث، لذا أكتفى بذكر هذه الأمثلة على سبيل المثال لا الحصر، ولننتقل الآن إلى مجال النثر، ولا شك أن ما كتب فيه يفوق ما كتب فى مجال النظم، حيث الغلبة فى الأدب الحديث أصبحت معقودة للنثر بعد أن ظلت هذه الغلبة للشعر طوال العصور الأدبية السابقة.

ونظرا لكثرة ما كتب عن مصر نثرا فسأكتفى بذكر مثالين فقط، بل سأكتفى بذكر مقتطفات من هذين المثالين، وقد آثرت إختيارهما لأنه كلا منهما يمثل حقبة زمنية مختلفة، حيث يمثل المثال الأول مصر خلال النصف الأول من القرن العشرين، بينما يصور الثانى مصر فى النصف الثانى من هذا القرن. أخترتهما لأن الأول يمثل نظرة الإعزاز والاكبار التى كان الإيرانيون وغيرهم ينظرون بها إلى مصر فى النصف الأول من هذا القرن كما سبق أن ذكرت، بينما يصور الثانى نظرة إيران النفط وغيرها من البلاد النفطية إلى مصر ما بعد حرب الثالث والسبعين، تلك الحرب التى خاضتها مصر لتجنى البلاد النفطية ثمارها، وتنعكس هذه الثمار تطاولا على مصر وشعبها.

والآن لننتقل إلى العمل الأول منهما وهو؛ صورة مصر فى كتاب:
سياحت نامهٔ إبراهيم بيك تأليف: حاجى زين العابدين المراغى

وهو كتاب يقع فى ثلاثة مجلدات كبيرة يحكى فيها المؤلف رحلات إبراهيم بيك الذى وصفه بأنه ابن تاجر كبير بآذربايجان، وقد وفد والده إلى مصر فى أواخر القرن الماضى بغرض التجارة، ونتيجة لاتساع تجارته اتخذ من مدينة القاهرة تلك المدينة المغبوطة من البلاد الإسلامية مقرا له، وجعلها دار إقامة بعد أن كانت دار رحيل.

وإبراهيم بيك هذا ــ وهو فى الحقيقة المؤلف نفسه ــ رغم إقامته فى مصر، كان شديد التعلق بوطنة الأم إيران، بل كان شديد التعصب لكل ما هو إيرانى، وعلى سبيل المثال لم ينس ما فعله الاسكندر بإيران عندما

بالمكانة العظمى بما تتمتعون به من حرية فى القول والحركة، ولكن هذا الأمر لا يتفق والأوضاع فى إيران، لذا فإن الأصدقاء يخشون أن تتعرضوا لأزمات جسام بسبب ما عهد عنكم من صراحة وجرأة فى الكلمة ...».

وبعد أن يتحدث الكاتب عن الحرية والعدل فى مصر، نراه يوجه نصحه إلى حكام إيران المتسمين بالظلم والجبروت، وذلك فى قصيدة أذكر ترجمة لبضعة أبيات منها:

ـ لقد أنعم ملك السماء على الملك بالعدل
حتى يعمر المملكة بالإنصاف والحق.
ـ وإن لم ينعم ملك الأرض على شعبه بالعدل
فسرعان ما يقتص منه ملك السماء.
ـ فأحسن ـ أيها الملك ـ الإصغاء إلى صيحة العدل
حتى لا تجد نفسك الغداة فى حاجة إلى صيحة الاستغاثة.
ـ إن كل ما شيده الأنبياء وأقاموا صروحه
قد شيدوه على أسس من العدل وأعمدة من الإنصاف.

* * *

هذه هى الصورة النثرية الأولى التى تنبض بالإشراق، والتى كانت مصرنا العزيزة فيها على حد قول الكاتب مغبوطة من البلاد الإسلامية. فهل كانت الصورة الثانية على غرارها وبخاصة أنها كتبت فى فترة كانت العلاقات الإيرانية المصرية فى أوج ازدهارها وذلك فى عام ١٩٧٨، أيام أن كانت الوفود رائحة غادية من المبلدين قبل سقوط الشاه محمد رضا بهلوى. كما نحب أن ننوه بأن كاتب الصورة الثانية قد زار مصر مرات ومرات، والتقى فيها بالمسئولين عن جميع المراكز الثقافية وبخاصة فى الجامعات، فقد كان الكاتب يشغل منصب نائب رئيس مؤسسة بنياد فرهنگ ايران، إنه السيد سعيد سرجانى الذى يعرفه جميع العاملين بحقل الدراسات الفارسية فى

الشاه عبد العظيم بضاحية الرى القديمة جنوبى طهران، وقد تحسر لأنه قطع المسافة من مشهد إلى طهران على حد قوله فى ستة وثلاثين يوما. فقال: لو أن هذه المسافة قطعت بالسكك الحديدية كما هو الحال فى مصر لما استغرقت الرحلة أكثر من ثلاثة أيام، كما أنها ستكون رحلة غاية فى الراحة، ولكن واحسرتاه فإن الإيرانيين قد حرموا من هذه النعمة الكبرى التى ينعم بها المصريون!!.

أما إذا انتقلنا إلى المساجد، فإن إبراهيم بيك قد هاله تلك الحالة الرثة التى وجد عليها المساجد فى إيران، وتمنى أن تحظى تلك الأماكن المقدسة بالاحترام والنظافة، كما هو الحال فى مصر، ومما قاله:

أما ما رأيناه من مساجد فى مصر فقد فرشت بالبسط الغالية، كما تفوح منها الروائح العطرة. وبها عدد كبير من المؤذنين والخدم، وفى أوقات الصلوات الخمس ترتفع أصوات المؤذنين من جميع المساجد بآذان الإسلام. أما هنا فى إيران فكيف نستبيح لأنفسنا أن نسمى هذه الأماكن مساجد ودور عبادة؟ إننى لا أعرف لماذا أصاب سوء الحظ هذه الأمة الإيرانية حيث أصيب جميع المواطنين بالعمى والصمم؟ وإذا افترضنا أن معظم أفراد الأمة من العوام والجهلاء؛ أفلم ير علماؤنا وساداتنا هذا الوضع المزرى؟ ألا يعرفون معنى المسجد فى الإسلام؟ ثم ما أقل صلاة الجماعة فى مساجدنا، بينما تكثر صلاة الجماعة فى مساجد مصر كلها. أما هنا فقد وقف كل فرد يصلى بمفرده، وقد وضع بعضهم مناديلهم كى يسجدوا عليها عوضا عن الفرش الممزق!!.

وأخيرا يقارن الكاتب بما ينعم به المصرى والأجنبى على أرض مصر من حرية فى القول والفعل، حرية لا ينعم بها الإيرانى فى وطنه، فقد سافر إبراهيم بيك إلى إيران وطالت رحلته، مما جعل أقرانه من الإيرانيين فى مصر يجزعون لتغيبه خوفا من أن يكون قد اعتقل أو أصابه مكروه، ومما جاء فى خطابهم الذى أرسلوه إليه يطالبونه فيه بالعودة، ما يلى:

«.... كم نحن فى لهفة عليكم.. لقد بدأ جميع أصدقائكم بمصر يشعرون بالضيق والخوف من طول سياحتكم.. لقد كنتم بمصر تنعمون

شعارا لهم، وهو: (هذا سائح أجنبى فافعل به ما شئت)، وبناء على هذا الشعار يتعاملون مع السائح الأجنبى على المستويين الشعبى والرسمى؛ والأمثلة على ذلك كثيرة، أذكر منها:

إيجار «التاكسى» فى مدينة القاهرة يتم نظير «تعريفة» معلومة لكل مصرى، أما إذا وضع مسافر أجنبى قدمه فى «تاكسى» فأول شىء يفعله السائق هو ألا يشغل العداد، وعلى هذا إذا كانت المسافة تكلف المصرى خمسة وعشرين قرشا، فإنه يطالب السائح بمائة قرش على الأقل.

وبالمناسبة فإن راتب الجامعى الذى درس ستة عشر عاما لا يزيد عن الخمسين جنيها فى الشهر بينما يتجاوز دخل سائق التاكسى العشرين جنيها فى اليوم الواحد، ولا شك أن هذا سيقلب الأوضاع الاجتماعية رأسا على عقب، وأول نتيجة لذلك اندفاع السائقين وأمثالهم نحو المخدرات والعادات الذميمة مما يسبب الكوارث الاجتماعية للمجتمع والحكومة على السواء، حيث لا يوجد شيطان يدفع الآدمى إلى الفساد والشرور أكثر من دخل يأتيه دون وجه حق!!

وصورة أخرى لابتزاز الأجنبى شاهدتها فى محل حلاقة، فقد ذهبت لأقص شعرى، فرأيت وأنا جالس على الكرسى أحد المصريين يحاسب الحلاق، حيث أعطاه مبلغ خمسة وعشرين قرشا، فقال له صاحب المحل: مع السلامة وودعه ببسمة عريضة. ولما كنت أعرف القوانين العرفية للمصريين، فقد فكرت فى أن أكون كريما غاية الكرم، فدفعت لصاحب المحل بعد أن قص شعرى مبلغ مائة قرش، وتحركت على مهل آملاً أن يودعنى كما ودع المصرى من قبل، ولكن صوته المرتفع اوقفنى حيث طالبنى بمبلغ مائة قرش أخرى؛ وهنا وقفت مشدوها، ولكننى دفعت صاغراً!!

وصورة ثالثة ساقها الكاتب ليبرز سلبيات مصر، فقد قال: ذهبت إلى الأسكندرية وأستأجرت «كابينة» كى أستريح فيها ساعة، وسألت صاحبها قبل استئجارها عن الثمن، ولكنه ما أن عرف أننى إيرانى حتى قال: ما قيمة للنقود فيما بيننا، إن كل شىء فداء للصديق! ولكننى بعد أن كررت

مصر، والذين أحسنوا وفادته، فكان رده على هذا الكرم مقالة يختلط فيها السم بالشهد كما يقولون؛ فماذا قال فى وصف مصر؟ (١)

بدأ الكاتب مقاله بقوله:

«إن الكلمات فى كل زمان لا تكون ذات دلالة واحدة من حيث قيمتها المعنوية، وبعدها العاطفى، كما لا يكون لها مفهوم واحد وعبير بذاته فى نظر جميع الناس. وكلمة مصر لها كذلك فى أذهان ثلاثة وأربعين مليون إيرانى مفاهيم عديدة، وغالبا ما تكون متفاوتة. فهى فى رأى عامة الناس وطن يقع فى شمال إفريقية، وفى ذهن السياسيين أرض فاروق وناصر والسادات، وفى خاطر المؤرخين ديار الفراعنة والفاطميين والمماليك، وفى مذاق رجال الدين أرض وادى النيل ومهد موسى. أما فى نظر من لهم معرفة ولو محدودة بالأدب الفارسى وحضارته، فإنها تعنى شيئا أكبر من كل ذلك وأعظم بكثير!»

بعد هذه المقدمة الوردية، يقول الكاتب:

«وبعد هذه المقدمة أرجو ألا تعجب أيها القارئ إن كانت ملاحظاتى ستبدأ بشرح السوانح غير السارة» ولكنه قبل أن يبدأ فى ذكر هذه السوانح يستدرك قائلا: «.. ولكننى فى النهاية لست غريبا عن مصر، إن علاقتى بهذه الديار وبشعبها ليست وليدة اليوم، بل إنها قديمة قديمة، حتى أننى أعتبر نفسى شريكا لهم فى أفراحهم وأحزانهم، فالإيرانى ليس غريبا فى مصر، وكذلك المصرى فى إيران.. وبناء على ما بيننا وبين المصريين من أوجه شبه عديدة أبدأ بسرد ملاحظاتى عن مصر والمصريين:

هناك مقولة عربية معروفة لدى اللغويين تقول: (هذه كلمة أجنبية فافعل بها ما شئت) أى أن العرب يحاولون نطق الكلمات الأجنبية الوافدة على قاموسهم العربى بطريقتهم الخاصة دون الالتزام بنطقها فى لغتها الأصلية، وليت الأمر اقتصر على ذلك، بل تعداه إلى مقولة أخرى فى مصر رفعوها

---

(١) سعيد سرجانى: أرض مصر الباعثة للطرب والبهجة، مجلة يغما العدد رقم ٣٥٨ رجب ١٩٧٨، (تيرماه ٢٥٣٧) السنة الحادية والثلاثون (العدد الرابع) ص ٢٣١ وما بعدها.

فى سلة المهملات بعد أن تعرض لمضايقات كثيرة منعته من أخذ الكتب معه إلى طهران (١).

وننتقل إلى آخر المطاف فى مقالة الذى خلط فيه الشهد بالسم الزعاف، فنحن جميعا نعرف أن اسم بولاق يرتبط فى أذان المثقفين فى العالم الإسلامى كله بمطبعتها الشهيرة، فماذا قال عن بولاق:

عند سفرى إلى القاهرة طُلب منى أن أحمل رسالة وهدية إلى أسرة تعيش فى بولاق، وبعد أن وصلت إلى القاهرة أخذت سيارة أجرة من الفندق كى أتوجه إلى العنوان المذكور ببولاق، وبعد أن اجتزنا شارعا أوشارعين ممهدين وواسعين نسبيا، بدأنا ندخل إلى الجزء الذى يسكنه فقراء القاهرة حيث الحارات والأزقة الغاصة بالنسوة الجالسات بلاعمل، وبعربات الكارو، وعربات الباعة الجائلين، وأرتال السيارات البالية المحطمة، أضف إلى ذلك انعدام النظام وتفشى القذارة التى لاتطاق..

وبعد برهة توقفت السيارة، حيث ضاقت الأزقة ولم يعد فى مقدور السائق مواصلة السير، فتوقف وقال: هذه هى بولاق، تفضل! فنزلت وسرت عَلى الأقدام والرسالة فى يدى ولفافة الهدية تحت إبطى. كانت الأزقة مزدحمة، والهواء عفنا وأسراب الذباب لاتطاق، وقد أتعبنى أن الأزقة لاتوجد عليها لوحات تحدد أسماءها، كما أن البيوت لاتوجد عليها أرقام تهدى السائل إلى العنوان الذى يقصده. وعلى الرغم من كل هذه الصعاب فقد ظللت تائها بين الأزقة باحثا عن العنوان حتى اهتديت إليه بعد ثلاث ساعات من البحث والمعاناة!

وبعد كل هذه الصور السلبية التى أوردها ختم مقاله قائلا:

كم تألمت وسألت نفسى؛ أهذه القاهرة تلك التى كانت عروس الشرق منذ أربعين عاما؟ وأهذه بولاق التى كانت ذات يوم المركز الثقافى فى العالم العربى كله؟ أهذا هو وادى النيل صاحب الخير والبركة والذى كان

---

(١) نفس المقالة ص ٢٣٦.

السؤال طلب منى مبلغ خمسة عشر جنيها ، فقبلت وأعطيته مبلغ خمسة جنيهات مقدما ، وأظهر الرجل غاية اللطف والحفاوة ، ثم أشعل السخان وأحضر منشفة وصابونة . ومن فرط تعبى ألقيت بجسدى على السرير ، وبعد ساعة استيقظت من نومى ، فلم أجد أثرا للماء الساخن ولا للمنشفة والصابونة . ثم نزلت أبحث عن صاحب الكابينة ، فإذا برفيق سفرى يقول لى : عندما استسلمت إلى النوم طالبنى بأجرة مقدارها عشرون جنيها ، أخذها وانصرف !! فتملكتنى الحيرة والضيق من هذا التدليس والسرقة ، وعزمت على أن أشكوه إلى الشرطة حتى ولو كلفنى ذلك مائة جنيه كى استعيد الخمسة والعشرين جنيها ، ولكن أحد المصريين نصحنى نصيحة خالصة ألقت الماء البارد على نار غضبى ، حيث قال : إن الدولة لا تهتم بمثل هذه المسائل ولن تجنى من وراء ما تزمع عمله مع الشرطة غير إضاعة الوقت وإثارة الأعصاب !!

وعلى الجانب الرسمى نجد هذا الابتزاز كذلك ، فالمتحف المصرى ، وهو أحد المراكز الهامة التى يؤمها الأجانب فى مصر ، وتديره الدولة وجميع العاملين فيه من موظفى الحكومة ، فإنك ستجد أن رسم الدخول إليه له سعران ، عشرة قروش للمصرى وخمسة وثمانون قرشا للأجنبى ، وقد زرته خمس مرات أوستاً ، وفى كل مرة يثير انتباهى بائع التذاكر الذى لا يرد إلى أى أجنبى المبلغ المتبقى من الجنيه وهو خمسة عشر قرشا . وإذا وقفت أمامه كى تسترد باقى نقودك ، فإذا به يقول لك : اذهب واحضر «فكة» ، وبعد ذلك اشتر التذكرة !!

والأغرب من هذا والأكثر إثارة للدهشة لدى السائح الأجنبى ، نظام تحويل العملة فى مصر ، حيث جعلت الدولة نظامين : التحويل الرسمى وهو المفروض على السياح حيث يعادل الدولار سبعين قرشا بينما هناك السعر التشجيعى للتجار والمستثمرين وفيه يعادل الدولار مائة وثلاثين قرشا : فكيف يكون هذا الابتزاز الحكومى للسياح ؟

ثم يعرج الكاتب إلى مطار القاهرة ويصف المعاملة السيئة التى عومل بها من موظفى شركات الطيران ومن مندوبى البنوك فى ساحة المطار ، تصويرا ينفر أى سائح من السفر إلى مصر ، لدرجة أنه ادعى إلقاء ما معه من كتب

انتشار اللغة الفارسية فى آسيا المركزية

الأستاذ الدكتور/ عبد السلام عبد العزيز

كانت منطقة آسيا المركزية تعد من المناطق الساسانية المحلية أو الملحقة بالدولة الساسانية فكانت ثقافتها إيرانية ساسانية خالصة، ومع ذلك أفادتنا الدراسات الحديثة نتيجة الحفريات العلمية أن مدنية تلك البلاد تنقسم إلى بضعة أقسام يمكننا الحديث عنها مبتدئين بشمالها ومنتهين بجنوبها.

أولاً: خوارزم:

ولها لغة خاصة بها وديانة شبيهة بما عند السغد وفنون وحضارة تختلف عن جيرانها، ويفهم من كتب أبى ريحان البيرونى أن الخوارزميين قد نموا تاريخهم وحضارتهم القديمة.٢

ثانيا: السغد:

ومعها المدينتان الهامتان بخارى وسمرقند، ولهم لغة ايرانية خاصة بهم، وكانت ديانتهم محلية وهى المانوية، وأيضا فنون وحضارة متميزة عن غيرهم. وكان السغد تجار الشرق ونشروا ديانتهم المانوية [وهى ايرانية] والمسيحية بين الترك والمغول ووصلوا بها حتى الصين.

ثالثا: باكتيريا (بلخ):

وتقع فى شمال حوض نهر جيحون أسفل النهر. وكانت اللغة الباختية تكتب بالحروف اليونانية، وانتشرت بينهم الديانة البوذية، أما الفنون الجميلة فكانت لها صفة خاصة وطابع مميز، وهم يختلفون فى ذلك عن السغد والخوارميين. وكان مركز أقليم بكتيريا مدينة بلخ الشهيرة.

ذات يوم موضع حسد القريب والبعيد من حيث ازدهار زراعته وعظمة اقتصاده ؟

* * *

هذه الصورة كتبها محب لمصر ـ كما يدعى كاتبها ـ كتبها اعترافا بجميل كل العاملين فى المؤسسات الثقافية وبخاصة فى الجامعات ، وذلك بعد أن أكرموا وفادته ، صورة تجعل كل من يقرؤها يجفل هاربا ، ولا يفكر فى زيارة مصر، قد تكون بعض هذه السلبيات موجودة فى القاهرة ولكن هناك إيجابيات كثيرة لم تحظ منه بكلمة واحدة ، ثم لكل وطن إيجابياته وسلبياته ، والمنصف من يبرز هذا وذاك ، ولكننا نقول أن السيد/ السعيد السرجانى يمثل بعض النفطيين الذين تناسوا ماضى بلادهم كما تناسوا بأن ما جنوه من ارتفاع لأسعار النفط جاء نتيجة لتضحيات المصريين بدمائهم فى حرب الثالث والسبعين .

وإذا تجاوزنا هذه الصورة المنفرة ، فالحق يقال بأن معظم الإيرانيين قد أنصفوا مصر فى أشعارهم وكتاباتهم ، ولهذا جاءت صورة مصر فى الأدب الفارسى الحديث صورة مشرقة فى معظم تفاصيلها .

وكان الكوشيون أبرز حكام شرق ايران، خاصة الملك «كانيشكا» المعاصر لدارا الكبير، ولقرون عديدة كان ملوك وأمراء المشرق ينتسبون إلى هذا الملك، وأيضا كان الملوك المحليون فى كشمير حتى القرن الخامس الهجرى يعرفون بأنهم من نسل «كانيشكا».

ويمكن تقسيم تاريخ آسيا المركزية الإسلامى بعصرين كبيرين، العصر الإيرانى ثم العصر التركى. ويتميز القرنان الثانى والثالث الهجريان بسيطرة العرب وانتشار الإسلام وقدوم الأتراك من مواطنهم بالتركستان للاستقرار فى البلاد، وتم ذلك فى فترة زمنية متقاربة. ولا شك أن هذه الفترة ذات أهمية فائقة فى التاريخ الإسلامى.

وبعد هذا العرض التاريخى المركز لمنطقة آسيا المركزية تواجهنا ثلاثة أسئلة هى صلب الموضوع على النحو التالى:

الأول: لماذا أصبحت آسيا الوسطى أوأقليم ماوراء النهر مركز العلم الإسلامى؟

الثانى: متى بدأت هجرة العلماء والأدباء وغيرهم من آسيا الوسطى؟. وهل كانت هجرتهم لفقدان حضارة ومدنية ماوراء النهر أم لا؟.

الثالث: لماذا توجه أكثر المهاجرين من تلك البلاد إلى الهند أكثر من توجههم إلى إيران الغربية أوالعراق أوبلاد الروم (الأناضول).

ونرد على ذلك بالآتى:

كانت آسيا الوسطى قبل استيلاء العرب عليها تضم حكومات صغيرة وعديدة، مثل بخارى وسمرقند واستروشنه (وليس اشروسنه) وخوارزم. وكان اقتصاد هذه الدويلات يعتمد على التجارة والصناعات اليدوية، مثل النسيج والسجاد والخزف، ولم تكن الزراعة المهنة الأساسية لشعوب آسيا المركزية، ولم تكن هناك ديانات عديدة متنافسة، وأيضا لم تكن فيها حكومة مركزية فى أى وقت، وكانت فى وضع اقتصادى وثقافى ودينى يختلف عن ايران الغربية الساسانية حيث كانت تعتمد اعتمادا كبيرا فى حياتها على الزراعة، وكانت الديانة الزردشتية تولى أهمية كبيرة للزراعة وتربية الحيوان، بل يعتبر ذلك من الواجبات الدينية. وكانت لايران الغربية حكومة مركزية

رابعا: جبال هندوكش :

ومركز هذا الأقليم كابول. وكان يعد الحد الفاصل بين ايران والهند. وترجع أهمية هذه المنطقة لكونها ميدان الصراع والتنافس بين ايران والهند، وراجت فيها ديانات عديدة مثل البوذية والهندوسية. وأثبتت الحفريات الحديثة أنه كانت فى مدينة غزنة الواقعة فى جنوب هذه البلاد سلسلة من الملوك الرهبان يطلق عليهم لقب «زنتپيل»، وهو لقب ملوك كابول، ويقال لهم أيضا «رتبيل»، واشتهروا بوقوفهم فى وجه العرب والاصرار على مقاومتهم.

خامسا: بلاد السكائيين :

وهى منطقة حوض نهر هلمند وسجستان الحديثة. وكان شعب هذا الأقليم يتكلم اللغة السكائية، ولعل سجستان هذه كانت الينبوع للحماسة الايرانية الوطنية.

سادسا: خراسان الحالية :

وهى أقرب الأجزاء الشرقية إلى المناطق الغربية الإيرانية، وفيها مدن هراة ومرو ونيشابور، وراجت فى هذه النواحى لغة وثقافة ايران الغربية ابان العصر الساسانى.

وكانت هذه المناطق الست تشكل الجزء الشرقى لايران الكبيرة والتى كانت تروج فيها اللغات الايرانية والحضارة الفارسية.

لقد جاء الحديث عن هذه المناطق كأماكن منفصلة عن بعضها طبقا لواقعها التاريخى والحضارى قبل الإسلام، لقد كانت تلك المناطق لفترات عديدة تحت سيطرة سلطة واحدة، مثل عصر الكوشانيين. وكانت خراسان وسجستان تحت حكم ايران الغربية، أى زمن الأشكانيين والساسانيين. وأيضا كانت مناطق الهندوكش وباكتيريا يضمهما حكم مشترك وسلطة واحدة، وكلتاهما يقعان على الطريق الرئيسى الموصل بين آسيا المركزية وشبه القارة الهندية.

تعصب الأهالى لعقيدتهم الدينية خفيفة وهشة، بل لم تكن للناحية الروحية وجود فى نفوسهم.

ولهذه الأسباب مجتمعة نشطت الحياة الإسلامية فى آسيا المركزية وصاحبها التعليم والدراسة حتى أصبحت مركزا للعلوم الإسلامية وموطنا من مواطن العربية والفارسية، وخرج من بلادها فى كل علم علّم بل أعلام. ونال علمهم وأدبهم قبول الكافة. فى حين تأخرت مدن ايران الغربية عن ذلك، بدليل أن علماء بخارى وسمرقند ومرو ونيشابور كانوا أكثر وأشهر من علماء إيران الغربية فى القرون الثلاثة الأولى الإسلامية. وكانت أسماء الأعلام الإسلامية من قبيل الانتساب إلى مدن بخارى وسمرقند وغيرها أشهر بكثير من علماء كرمان وشيراز ويزد وأصفهان وتبريز الذين كانوا يعيشون فى نفس الفترة.

وبعد أن وثق علماء وأدباء ما وراء النهر بعلمهم وأدبهم بدأوا يصدرون العلم والأدب، فبدأت هجرة علماء وأدباء ما وراء النهر. وتدل حركة علماء نيشابور فى القرن الثالث الهجرى وخاصة فى أواخر العصر الساسانى إلى توجه عدد كبير من علماء بخارى وسمرقند إلى الغرب بعامة وبغداد بخاصة، وزاد عددهم بمضى الوقت عندما بدأت الدولة السامانية فى التحلل والتفسخ ثم الانقراض. وفى تلك الفترة بدأت القبائل التركية هجراتها نحو البلاد الإسلامية فكانت بلاد ما وراء النهر معبرهم نحو الغرب. ولا شك أن بلدان آسيا المركزية وخراسان بما فيها من أهالى وزراعة وتجارة قد تعرضت لأخطار مدمرة نتيجة هجرات الأتراك من مواطنهم فى التركستان.

وعلى هذا النحو توجه علماء وأدباء ورجال ما وراء النهر أول ما توجهوا إلى العراق وغرب ايران. وكانت هذه المناطق تحت حكم ملوك آل بويه، ولكنها كانت ذات فرص محدودة سواء للعمل أو الحياة الكريمة. ولكن ظهر ميدان جديد ملىء بالغنائم والفرص عندما جلب السلطان محمود الغزنوى جندا كثيفا من آسيا المركزية إلى غزته عاصمة مملكته ليشتركوا فى الحروب التى قام بها فى الهند.

قوية وثقافة دينية عالية حتى أن الأيرانيين كانوا راضين عن ديانتهم الزردشتية ويعتبرونها محور حياتهم وسبب عظمتهم.

وعندما تلاشت مقاومة الحكومة الساسانية المركزية بعد انتصار العرب فى معركة نهاوند لم يواجه المسلمون حروبا محلية، أما فى آسيا الوسطى فإن مقاومة شعبها للعرب والإسلام كان شديدا ومريرا. ولهذا السبب تأسست قواعد عسكرية عديدة للجند الإسلامى ونعنى بالجند الإسلامى العرب والايرانيين على السواء.

واستوطن كثير من الجند الإسلامى فى مرو وبخارى وسمرقند، وكان يصحبهم فى مسيرتهم تجاه الشرق قوافل من العلماء، كان بينهم بعض الصحابة رضوان الله عليهم مثل القثم بن العباس المدفون فى سمرقند ويلقبونه بزنده شاه. وكان من بين العرب المقاتلين الذين قدموا آسيا الوسطى جماعات غفيرة من قبيلة أزد كانت تقطن حضرموت وعمان، وقد عرف عنهم بشهرتهم العريقة فى صناعة الأردية الصوفية والأكلمة والسجاجيد. وأسهم الأزديون فى صناعة السجاد فى بخارى وسمرقند وأنتجوا صنفا جديدا من السجاد لا يزال يحرز أهمية ورواجا حتى يومنا هذا. فكان هذا الاختلاط والتزاوج ذا فائدة للطرفين، ووصل نشاط هؤلاء التجار سكان ما وراء النهر فى عصر الدولة الأموية كافة البلدان الإسلامية، فكان ذلك مقدمة لتقارب وتعاون بين أهالى البلاد المفتوحة فى آسيا الوسطى والعرب الفاتحين. ومع وجود أعداد غفيرة من المسلمين فى آسيا الوسطى وانشغالهم بالحروب والفتوحات أكثر من اخوانهم فى ايران الغربية فإن الدين الإسلامى انتشر بسرعة وغير الناس فى ما راء النهر دياناتهم أكثر من ايران الغربية وذلك لسببين هامين، هما:

الأول: كانت هناك فائدة اقتصادية لانخراط الأهالى فى الإسلام.

الثانى: كان من السهل تغيير الديانة فى آسيا الوسطى أكثر مما كان عليه فى غرب آسيا، حيث استمرت التنظيمات الدينية الساسانية فى مزاولة أعمالها بحرية تامة بعد استيلاء العرب على إيران. أما فيما وراء النهر فكان

على طريقة من سبقوهم من الحكام بأن جعلوا الفارسية لغة رسمية لهم، فانتشرت بين أهل الهند، حتى أن أمير خسرو الدهلوى قارن بين اللغة الفارسية الوافدة ولغات الهند فى عصره فذكر أن جميع سكان شواطىء نهر السند حتى البحر المالح (ويقصد بذلك بحر العرب) وهى فى حدود أربعة آلاف فرسخ يعرفون اللغة الفارسية، وذلك مقابل كل مائة فرسخ نجد المتكلمين بلغة هندية يختلفون فيما بينهم. أما الفارسية فهى موحدة ويفهمها الجميع عندما يتكلمون بها. وساعد على ذلك أنه طبقا لمقاييس بلاد ما وراء النهر فإنهم عندما يكتبون اللغة الفارسية يتلفظون كل حروفها، لذلك فإن هناك بين فارسية ما وراء النهر وفارسية الهند شبه كبير. أما الأقاليم الأخرى فإنه لا يوجد تقارب سواء فى المخاطبة أوصفاء اللغة أووحدتها مع سائر الأقاليم التى تتحدث الفارسية. وأورد أمير خسرو فى كتابه «غرة الكمال» نماذج عديدة نذكر منها واحدا وهو: ومثال ذلك ينطق الخراسانيون «چه» على صورة «چى» و«كجا» يتلفظونها «كچون» وواضح النطق الصحيح لهذه الكلمات من خلال حروفها الهجائية وألفاظ أخرى يكتبونها سليمة ولكن تلفظ بشكل آخر.

ومنذ سيطرة السامانيين على أقليم ما وراء النهر انتشرت اللغة الفارسية الدرية فى ايران الشرقية حتى يمكن القول أنه بواسطة شعراء وأدباء اقليم ما وراء النهر وخراسان وسيستان منذ أواسط القرن الثالث حتى أواسط القرن الخامس الهجرى تم ارساء قواعد وأسس الأدب الفارسى وأخذ شكله الحالى، وأنه نتيجة فتوحات الغزنويين والسلاجقة واتخاذهم اللغة الفارسية لغة رسمية لهم سيطرت الفارسية على المشرق الاسلامى، وأصبح اقليم ما وراء النهر منطقة خصبة لتربية الشعراء والكتاب حتى بعد زحف اللغة الفارسية الدرية غربا إلى العراق وآذربيجان. ولا يزال الكثير من النقاد حتى الآن يذكرون مصطلح «سبك تركستانى» أى أسلوب الشعر والكتابة نتاج التركستانيين بدلا من «سبك خراسانى».

ولعلى أكون قد عرضت فى بحثى هذا دراسة موجزة عن جزئية للغة

وبعد أن كان الطريق القديم للهند يستخدم فى التجارة وأصبح منذ عصر السلطان محمود طريق الفتح والغنائم وتحقيق الآمال والأحلام، خاصة بعد أن تشرف أتراك آسيا الوسطى بالإسلام وأصبح المجاهدون فى سبيل الله فى هذه المناطق دون عمل، فالتحقت جماعات غفيرة منهم بخدمة الدولة الغزنوية وأسهموا مساهمة فعالة فى تحطيم معابد الشرك والضلال فى الهند، كما أسهموا فى نشر الإسلام والحاق شبه القارة الهندية بدار السلام.

وأيضا توجهت جماعات أخرى صوب الغرب، ويسجل التاريخ أنهم حاربوا الأرمن واليونانيين وفتحوا باب آسيا الصغرى أمام المسلمين زمن الدولة السلجوقية، ولكنه نظرا لقرب الهند لأقليم ما وراء النهر وثرائها الفاحش وعدم وجود حكومة مركزية قوية أغراهم بالتوجه إليها وسهل انتصارهم الذى هو انتصار للإسلام.

ونقل أهل ما وراء النهر ضمن ما نقلوه معهم إلى الهند اللغة الفارسية. وقد غادر الكثير من العلماء والأدباء والمتصوفة بلادهم عندما شرع جنكيزخان يزحف نحو المشرق الإسلامى زمن السلطان علاء الدين محمد الخوارزمشاه، وكأن جنده أمواج متلاطمة فانتقلت عظمة البلاطات من خوارزم وخراسان إلى دهلى والمولتان ولكهنوا حيث وجد الفارون من وجه المغول لدى اخوانهم فى الدين الملاذ والعون والأمان.

وفى النهاية استقر أكثر المهاجرين من بلاد ما وراء النهر فى الهند واتخذوها موطنا لهم، وكانت بلادهم تضم فى ذلك الوقت أعدادا غفيرة من العلماء والأدباء والفقهاء وغيرهم حتى أنه لم يكن فى العصر الإسلامى حتى اجتياح المغول موطن به وفرة من المثقفين الممتازين مثل إقليم ما وراء النهر. ويؤكد ذلك القول أمير خسرو الدهلوى فى مقدمة كتابه «غرة الكمال» ويذكر أنه كان ينظر إلى الأدباء من أقليم ما وراء النهر نظرة استحسان وتقدير كاملين، وأحيانا يفضلون على الخراسانيين والسيستانيين نظرا لما يحرزونه من استعداد طيب ومواهب خلاقة ولغة مكتسبة سليمة النطق.

ونظراً لأن أغلب حكام وسلاطين الهند من آسيا الوسطى فإنهم ساروا

« لمحات من جهاد مسلمى تركستان ضد الغزو الشيوعى »

للدكتورة شيرين عبد النعيم حسنين
الأستاذ المساعد بقسم اللغة الفارسية وآدابها
بكلية الآداب ــ جامعة عين شمس.

فى الذكرى السنوية العاشرة لوفاة الزعيم السياسى والمجاهد الدينى العلامة أبي النصر مبشر الطرازى، يجمل بي أن أعرض لمحات من جهاد مسلمى تركستان منذ الغزو السوفييتى حتى الوقت الحاضر، نظراً لأن وقت هذا البحث يضيق بالحديث مفصلاً عن هذا الجهاد العظيم، إن هذه الشعوب الإسلامية العريقة التى تقطن مساحة واسعة من قارة آسيا تمتد من بحر الخزر غرباً حتى الصين شرقاً ومن سيبيريا شمالاً حتى إيران وافغانستان جنوباً، قد أخرجت لنا دولاً عظيمةً تركت بصماتها فى التاريخ الإسلامى حتى الآن، حيث ساهم قوادها فى نشر الإسلام فى بقاع العالم المختلفة كالهند على يد الدولة الغزنوية، وآسيا الصغرى على يد الدولة السلجوقية، والصين وشرق أوربا على يد الدولة المغولية، كما أنجبت الكثيرين من رواد الفكر الإسلامى، وأخص بالذكر فى هذا المجال أمام المحدثين البخارى.

غير أن عجلة الزمان قد انقلبت على شعوب هذه البلاد العريقة منذ أن توطدت دعائم القيصرية فى الربع الأخير من القرن الخامس عشر الميلادى، وشعر القيصر إيڤان الثالث بقوته، فامتنع عن دفع الجزية لخان المغول، ومنذ القرن السادس عشر حتى أواخر القرن التاسع عشر دار صراع مرير بين الطرفين، انتهى بسيطرة روسيا القيصرية على بلاد تركستان الإسلامية.

الفارسية فى آسيا الوسطى الذى لا يزال أهله سائرين فى طريقهم الذى اختاروه لأنفسهم. فما الفقيد العلامة أبو النصر مبشر الطرازى الحسينى إلا أحد رجالهم ونتاجه فى الفارسية وترجماته من الفارسية إلى العربية ودراساته العلمية والأدبية خير دليل على ذلك، رحمه الله رحمة واسعة وبارك الله فى خلفه الأستاذ نصر الله واخوته الكرام والسلام.

٤ ــ يحظر ممارسة أى طقوس أو مراسيم دينية أو إدخال ما يلزم من أدوات لأداء الشعائر الدينية فى جميع المؤسسات الحكومية والعامة فى أى مكان دون الأماكن المخصصة لأداء العبادة وإلغاء اليمين الدينى فى المناسبات الرسمية والاجتماعية.

٥ ــ يحظر على الجمعيات والمنظمات الدينية أن تخصص صندوقاً للمعونات، أو أن تقوم بأى نشاط خيرى أو عمل اجتماعات ولقاءات وندوات خاصة بالأطفال والشباب والمرأة، كما يحظر عقد أى نوع من أنواع الحلقات لتدريس الدين للمواطنين.

٦ ــ يحظر زيارة الأماكن الدينية المقدسة حفاظاً على صحة المواطنين.

٧ ــ يمنع منعاً باتاً التعليم الدينى للأطفال فى المدارس أو دور العبادة، كما يحظر دخول دور العبادة للمواطنين الذين تقل أعمارهم عن ثمانية عشر عاماً.

٨ ــ يحظر على رجال الدين استغلال الخطب للتعبير عن وجهات نظر سياسية أو اجتماعية أو توجيه أى بيان أو منشور ليس فى صالح الدولة.

٩ ــ يضمن القانون المساواة بين المواطنين فى الدين، وبالتالى يقضى بعدم النص على دين المواطن أو الطائفة الدينية التى ينتمى إليها فى أى وثيقة رسمية.

١٠ ـ يحظر على الجهات المحلية أو المركزية تخصيص أى اعتمادات مالية لصالح المؤسسات الدينية سواء كانت هذه الاعتمادات فى شكل إعانات مفروضة على المواطنين تكتسب صفة الإلزام.

وفى نفس الوقت انطلقت الجيوش انروسية دون سابق إنذار بأحدث أسلحة العصر لتخضع الشعوب التركستانية المسلمة بأبشع وسائل القمع، وقد استماتت هذه الشعوب فى الدفاع عن بلادها، فكان المجاهدون بمعاونة الأهالى

ثم تفاقمت الأحداث على هذه الشعوب ذات الحضارة العريقة، حتى لقيت مصيرها المحتوم على يد الثورة البلشفية الشيوعية التى وثبت إلى السلطة فى أكتوبر عام ١٩١٧م، وانتهجت سياسة الخبث والدهاء فى القضاء على حضارة هذه الشعوب تمهيداً لترويسهم، ثم صهرهم فى بوتقة الشيوعية الملحدة التى ترى أن الأديان وبخاصة الدين الإسلامى تقوم بدور هائل فى عرقلة تطور المجتمع الشيوعى وربطه بعجلة التكنولوجيا المتقدمة كما يدعون!!.

فأصدرت فى نفس العام أى عام ١٩١٧م أول مرسوم بعنوان عن الأرض، يقضى بمصادرة جميع الأراضى المملوكة لدور العبادة.

وفى عام ١٩١٨م أعلنت حكومة الثورة فى دستور جمهوريتها مبدأ حرية الضمير، ونصته فى شكل مادة دستورية تنص أن حرية الدعاية الدينية واللا دينية مكفولة للجميع.

ثم أصدرت بعض القرارات بشأنه، تنظم بموجبها ممارسة الشعائر الدينية، وتحدد حقوق المتدينين وواجباتهم ومن أهمها:

١ ــ يعطى القانون للمتدينين الحق فى تكوين منظمات أو جمعيات دينية ولأعضائها الحق فى ممارسة الشعائر والطقوس الدينية، بشرط أن يتقدم المؤسسون بطلب للجنة التنفيذية التابعة لمجلس السوفيت فى المنطقة أو المدينة، لتوقيع اتفاقية بينهم وبين السلطات، ويختص بالفصل فى كافة الأمور المتعلقة بنشاط الجمعيات الدينية لجنة شئون الأديان التابعة لمجلس الوزراء السوفيتى بواسطة فروعها المختلفة، وبدون هذا التسجيل يصبح نشاط الجمعية الدينية محظوراً وغير قانونى.

٢ ــ من حق الدولة أن تمنع نشاط أى جمعية دينية أو تغلق أى دور للعبادة وتصادر ممتلكاتها، إذا رأت أن نشاطها يخالف أهداف الدولة.

٣ ــ لا تمانع الدولة فى إجراء المراسم الدينية للزواج، ولكن الزواج لا ينعقد ولا يترتب عليه الأثار القانونية إلا بتسجيله فى سجل الأحوال المدنية.

أما نشر الإلحاد الذى هو هدف الثورة عن طريق زعزعة العقيدة، وتشكيك الناس فى إيمانهم، وتزييف حقائق تاريخهم الإسلامى من أجل القضاء على الدين، فقد تولى الإشراف على تنفيذ مخططه وزارتا التعليم والثقافة والنقابات المهنية، وتعمل جميعها تحت إشراف الحكومة فى ممارسة الدعاية الإلحادية بواسطة أجهزتها المتعددة.

وعلى الرغم من هذا لم ييأس المسلمون، بل واصلوا الدفاع عن وطنهم، فبعد إنهزام جيوشهم المنظمة، واصلت حركة المقاومة الشعبية التى كان قد شكلها فدائيو التركستان عام ١٩١٨م وتزعمها رجال الدين وكان المجاهد العلامة الطرازى من بينهم فى شكل جيش وطنى قوامه خمسة عشر ألف مجاهد للجهاد ضد الاحتلال الروسى. فكانت فى كل إمارة جبهة مقاومة تسلك حرب العصابات مع الجيوش الروسية، حيث كان المجاهدون يختبئون فى الجبال، ثم يقومون ليلاً بالإغارة على مخازن الأسلحة والذخيرة الروسية فينهبونها، ثم يحاربون بها القوات الروسية، لذا أطلقت الحكومة الروسية عليهم اسم الباصماجية، وكلمة باصمق فى التركية الجغتائية بمعنى الهجوم المباغت إلا أن هذا التعبير فى اصطلاح الروس يعنى قاطع الطريق.

فظلت هذه الحركة مصدر قلق للحكومة السوفيتية حتى استطاعت أن تقضى عليها عام ١٩٣٢م بعد أن استشهد حوالى خمسة ملايين تركستانى من المجاهدين وشرد حوالى أربعة ملايين إذ تركوا ديارهم مهاجرين فى أنحاء العالم.

وفى أثناء قيام الحرب العالمية الثانية، وهزيمة الألمان للروس انتهز الزعيم السياسى مبشر الطرازى زعيم مهاجرى المسلمين فى مهجره فى أفغانستان الفرصة، فشكل حركة مقاومة امتداداً للحركة السابقة بمساندة الحكومة الأفغانية، ولكن هذه الحركة لم تعط الفرصة لمواصلة الكفاح بسبب الضغط الروسى على الحكومة الأفغانية لتصفيتها، فألقت القبض على ثلاثة وخمسين من رجالها، كان من بينهم زعيمهم مبشر الطرازى وابنه الأكبر الأستاذ

يعتصمون بالجبال التى اتسمت بها طبيعة بلادهم ويستميتون فى المقاومة، وأمام مناعة مقاومتهم، كانت الجيوش الروسية تلجأ إلى حرب التجويع بقطع طرق الإمدادات إلى هذه البلاد مع قصفها براً وجواً، حتى تمكنت من السيطرة الكاملة عليها عام ١٩٢١م.

ثم شرعت الحكومة السوفيتية بعد ذلك وعلى الفور فى تنفيذ مخططها الشيوعى، فقامت عام ١٩٢٣م بتمزيق أواصر هذه الشعوب، وذلك بتقسيمها إلى ست جمهوريات تعرف حتى الآن باسم أوزبكستان، تركمانستان، تاجيكستان، قازاقستان، قيرغيزستان، وقرة قالپاق، وضمها إلى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية تحت اسم جمهوريات آسيا الوسطى السوفيتية بدلاً من تركستان، حيث إلغى هذا الاسم بقانون عام ١٩٢٤م.

وقد كان عماد هذا التقسيم الاختلاف فى اللهجات، على الرغم من أن هذه اللهجات كلها تنتمى فى الأصل إلى لغة واحدة وهى اللغة التركية الخاقانية الشرقية.

وإمعاناً فى خلخلة تجمعاتهم الإسلامية، وقطع صلاتهم بين حاضرهم وماضيهم، والقضاء على حضارتهم، قامت الحكومة السوفيتية بنفى مايقرب من خمسة ملايين من سكان هذه المناطق المسلمة، واستقدمت ألوفاً مؤلفة من الروس الأوربيين للعيش بينهم، حتى أن الروس أصبحوا يشكلون الآن ثلاثة وأربعين فى المائة من سكان جمهورية قازاقستان، وانخفض عدد المسلمين بها إلى اثنين وخمسين فى المائة، بعد أن كانوا يشكلون نحو سبعين فى المائة، كما أصبحوا يشكلون تسعة وعشرين فى المائة من سكان جمهورية قيرغيزستان، وانخفضت نسبة المسلمين إلى أقل من خمسة وأربعين فى المائة، بعد أن كانوا يشكلون نحو اثنين وتسعين فى المائة من مجموع سكانها.

كما أصدرت الحكومة السوفيتية عام ١٩٢٥م قراراً باستبدال حروف هجاء اللهجات التركية الخاقانية وأهمها الجغتائية المكتوبة بالحروف العربية، والمطعمة بكثير من الكلمات العربية، وذلك من أجل ترويس هذا الشعب المسلم والقضاء على قومياته.

أفغانستان وفى رفقته إبنه الأكبر (نصر الله عمره ٨ سنوات) من جملة أهله وعائلته التى بقيت فى أسر الحكومة الشيوعية وتم حبس بعضهم وإعدام عدد كبير منهم.

وعلى الرغم من هذا المصير المشئوم الذى آل إليه المسلمون فى روسيا، وعلى الرغم مما انخدع منهم بالسياسة الشيوعية وانجرف فى تيارها، وأصبح من الموالين لها، لا يزال من المسلمين هناك حتى الآن من يقفون صخرة منيعة فى وجه تيار الإلحاد الجارف، يتمسكون بدينهم وتدينهم، ويؤكد هذا أقوال الكتاب السوفيت التى وردت فى كتبهم وصحفهم، أذكر منها على سبيل المثال ما ورد فى مقال بعنوان (خصائص نشر الإلحاد بين أفراد المسلمين فى الاتحاد السوفيتى) وقد نشر ضمن كتاب أصدره معهد الإلحاد العلمى التابع للجنة المركزية للحزب الشيوعى عام ١٩٦٧م تحت عنوان (نشر الإلحاد بين أفراد المتدينين) للكاتب بيراموف يقول فيه (إن لنشر الإلحاد بين أفراد المسلمين خصائصه وصعوباته وتعقيداته) ثم يقر أن الإسلام لا ينشر عن طريق الأئمة فحسب، بل كذلك عن طريق المواظبين على زيارة المساجد، وعن طريق المشايخ المتجولين والمتدينات من العجائز، أولئك الذين يستغلون نفوذ التقدم فى السن، وهو نفوذ واسع الانتشار بين الشعوب الشرقية).

وفى مقال آخر نشر تحت عنوان (الإسلام والشباب فى العصر الحديث) ضمن مجموعة بعنوان (الشباب والإلحاد) فى عام ١٩٧١م يقول الكاتب قربانوف (إن وعى الغالبية العظمى من الشباب السوفيتى قد تحرر من رواسب الدين، وأصبح الإلحاد صفة لا تنفصم عن البنية الروحية لفتياتنا وفتياتنا، غير أن بعض شبابنا ما يزال خاضعاً لتأثير الدين، وفيما يتعلق بالإسلام، هناك أسباب كثيرة جعلت تأثيره على الفتيان والفتيات ما يزال أقوى من غيره من الأديان).

كما يذكر قربانوف فى مقاله أن الأدباء فى المناطق الإسلامية يحرصون كل الحرص على تلقين أبنائهم قواعد الإسلام وفقه العبادات والسيرة الشريفة، وقد قامت الشرطة السوفيتية فى فرغانة باكتشاف وضبط مدرسة

نصرالله حيث سجن أكثر من خمس سنوات، ثم أفرج عنه فى عام ١٩٤٨م، وهاجر بعدها إلى مصر فى سبتمبر١٩٤٩م.

وفى مصر من عام ١٩٤٩م حتى عام ١٩٥٦م واصل نضاله من أجل تحرير بلاده فى الدوائر الرسمية والمحافل السياسية وصحافة مصر والعالم العربى، كما رفع نداء بلاده فى مذكرة إلى هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٥٢م بصفته ممثلاً لتركستان فى جماعة الكفاح لتحرير الشعوب الإسلامية بالقاهرة ومن زمرة المؤسسين لها.

أما بالنسبة لنضال المسلمين فى روسيا ضد المخطط الشيوعى ونشره للإلحاد عن طريق التشكيك فى الإسلام، وذلك بإعادة تصنيف تاريخ الإسلام وكتابته بشكل ينفى الصفة الإلهية عن الإسلام وكتابهِ المنزل، فلم يتوان المسلمون حتى الآن عن بناء المساجد وصيانتها، وإنشاء الجمعيات الدينية بجهودهم الذاتية، دون طلب مساعدة الحكومة السوفيتية، كما لم يتهاون الزعماء الدينيون عن التصدى لهذا المخطط بإلقاء الخطب فى المساجد وتاليف الكتب رداً على حملات الافتراء والتشكيك هذه، وجدير بنا فى هذا المقام أن نشيد بشجاعة مبشر الطرازى الذى تصدى فى عام ١٩٢٦م لأحد الكتاب الشيوعيين الملحدين الذى كان قد نشر كتاباً فى التشكيك فى نبوة سيدنا محمد عليه السلام تحت عنوان (هل محمد رسول الله؟) فألف كتابه (القرآن والنبوة) فى الرد على افتراءات هذا الكتاب، وقام بشرحه للمسلمين فى مسجد الجامع، فما كان من الحكومة السوفيتية إلا أن أصدرت أمراً بحبسه ومصادرة مكتبته الخاصة.

وعندما أصدرت الحكومة السوفيتية عام ١٩٢٨م قراراً برفع الحجاب، قاوم المجاهد الطرازى هذا القرار مقاومة شديدة عن طريق الخطب بالمسجد، مستنداً على المادة الدستورية التى تنص على أن الحرية الدينية واللادينية مكفولة للجميع، والتى تطبقها الحكومة من أجل نشر الإلحاد، مما أغضب الحكومة، فأصدرت حكماً بإعدامه عام ١٩٣٠م فاضطر إلى الهجرة خفية إلى

إن هناك موقفاً دينياً معقداً فى السنوات الأخيرة، حيث أصبحت الأعمال الإلحادية المنافية لتعاليم الإسلام غيرّ مقبولة من المسلمين، ويشكو أحد كبار المسئولين فى تاجيكستان من أن عدد المؤمنين ورجال الدين غير الرسميين أخذ فى التزايد، وذكرت الصحيفة أن رجال الدين يعملون على تشجيع ما وصفته بالمزاعم القومية والدينية غير المستساغة، وفى قيرغيزستان حذر أحد المسئولين الحزبيين من أن دعاة الإسلام يدعمون نفوذهم فى أوساط الشباب والفتيان والأطفال.

وفى ختام حديثى وبعد عرض بعض اعترافات الكتاب السوفيت فإننا نقر الحقيقة الأكيدة وهى أن الإسلام دين الحق الأزلى، الذى لا يقهر أمام متغيرات الظروف وتقلبات الزمان، وأنه باق حتى الساعة، وأن صمود جهاد مسلمى تركستان أمام تيار الإلحاد الجارف طوال سبعين عاماً أى منذ الاحتلال الشيوعى حتى الآن، يتم بعون من الله عز وجل، ولا بد له من نصرة فى يوم أرجو أن يكون قريباً، ويدعم هذا ويؤكده تلك الآية الكريمة التى جاءت فى محكم تنزيله:

(ولينصرن اللهُ من ينصره إنه لقوى عزيز)

صدق الله العظيم.

خاصة خارجة عن القانون، تضم ثلاثة وعشرين طفلاً، أقامها السكان لتفقيه أبنائهم فى دينهم إلى جانب إلتحاقهم كتلاميذ عاديين بالتعليم العام، واكتشفت محاولات مماثلة فى انديجان ونمنگان وداغستان وغيرها.

أما ما ورد فى صحفهم فهو يؤكد إصرار المسلمين هناك على حماية دينهم وتدعيمه حتى وقتنا الحاضر، أذكر منها على سبيل المثال ما نشرته جريدة (پرافـدا) السوفيتية الناطقة باسم منظمة الشباب السوفيتية، نقلاً عن جريدة الأهرام الصادرة فى الثانى عشر من شهر يونية عام ١٩٨٣م، تصرح فيه أن اتجاه الشباب فى هذه الجمهوريات إلى الدين الإسلامى، بدأ يثير قلق المسئولين الشيوعيين هناك!.

كما نشرت صحيفة سوفيتية أخرى تدعى صحيفة (آذربيجان) نقلاً عن جريدة الاتحاد الصادرة من دولة الإمارات فى التاسع والعشرين من شهر مايو عام ١٩٨٥، أن ثلاثة مسلمين قد قاموا بإصدار الكتب الدينية والتقاويم باللغة العربية طوال عدة سنوات، وكانت الطباعة تتم ليلاً من قبل أحد المسئولين عن طباعة الصحف فى آذربيجان وأشارت الصحيفة بأن هؤلاء الثلاثة كانوا مستفيدين من المشاعر الدينية للمسلمين، مما تسبب فى إحداث تلف أيديولوجى للشباب صغار السن.

وقد أضافت جريدة الاتحاد تأكيداً لما نشرته صحيفة آذربيجان السوفيتية هذه، وتأييداً لجهاد المسلمين هناك، تصريح صحيفة سوفيتية أخرى وهى صحيفة اوزبكستانى فى يونية عام ١٩٨٤م، أنه قد تم اكتشاف مطبعة إسلامية سرية مشابهة فى طشقند، وكان مايزيد عن عشرة أشخاص قد اشتركوا فى المشروع، حيث حصلوا على مواد ومستلزمات الطباعة من المؤيدين المسلمين الذين يعملون فى مصانع الدولة، وقامت تلك المجموعة أيضاً بتوزيع نسخ من القرآن الكريم وأشرطة تسجيل تحمل خطب الأئمة فى جميع أنحاد اوزبكستان.

وفى الرابع والعشرين من يناير فى هذا العام أى عام ١٩٨٧م نشرت صحيفة پرافـدا السوفيتية نقلاً عن جريدة الدستور الصادرة من السعودية، تقول

«التزاوج بين الأدبين الفارسى والعثمانى ـ نماذج تطبيقية»

للأستاذ نصر الله مبشر الطرازى
أستاذ اللغتين الفارسية والتركية وآدابها بجامعات مصر

من المتفق عليه تاريخيا أن العثمانيين (آل عثمان) وهم من عشائر بوزاوق الأوغوزية القادمين من تركستان ـ الوطن الأم للترك ـ قد أسسوا دولتهم فى الأناضول على أنقاض الدولة السلجوقية عام ١٢٩٩ الميلادية على يد عثمان خان أصغر أبناء «أرطغرل». وكان ملوك السلاجقة تركاً فى جنسهم فرساً فى أدبهم ومكاتباتهم الرسمية. إذ كانت اللغة الفارسية سائدة فى هذا الوقت فى أرجاء الشرق الإسلامى وفى ذروة نضجها وازدهارها. فاتخذ ملوك آل عثمان الأوُل اللغة الفارسية لغة رسمية فى رسائلهم ودواوينهم، ودامت الحال على هذا المنوال إلى عهد السلطان مراد الأول الذى اعتلى العرش عام ١٣٥٩م.

وفى أوائل القرن الثالث عشر الميلادى كانت مدن الأناضول مركزاً للصوفية من أتباع الطريقة اليسوية وغيرها.. فذاع التصوف بين طبقات الشعب التركى وشاع، وكان لمولانا جلال الدين الرومى ـ الذى هو أصلاً من أسرة چغتائية من مدينة بلخ والذى هاجر مع والده إلى الأناضول واستقر فى مدينة قونية ـ الفضل الأكبر لنشر المبادئ الصوفية فى أرجاء البلاد وذلك عن طريق مثنويه المعروف.

وقيل أن جلال الدين الرومى كان فى قونية شعلةً من ضياء لعبقريته

المراجع:

أ ـ المراجع العربية:

١ ـ د. سعد مصلوح: المسلمون بين المطرقة والسندان، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٠م.

٢ ـ د. شيرين عبد النعيم حسنين: مسلمو تركستان والغزو السوفيتى، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٥م.

٣ ـ د. عادل طه: المسلمون فى العالم: الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٠م.

٤ ـ محمد الغزالى: الإسلام فى وجه الزحف الأحمر: الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٨٤م.

ب ـ المراجع الفارسية:

٥ ـ أبو النصر مبشر الطرازى: مثنوى يادگار زندان يا آيينهٔ جهان، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٦م.

جـ ـ المطبوعات:

٦ ـ لنفس المؤلف: اجمال حالات المسلمين فى روسيا. القاهرة، ١٩٥٢م.

٧ ـ جريدة الاتحاد، العدد ٢٩ من مايو ١٩٨٥م الصادرة من دولة الإمارات.

٨ ـ جريدة الأهرام، العدد ١٢ من يونيو ١٩٨٣م الصادرة من القاهرة.

٩ ـ جريدة الدستور العدد ٢٠ من يناير ١٩٨٧م الصادرة من السعودية.

وشيخى كجميع شعراء الترك الذين أتوا بعده متأثر بالشعر الفارسى لفظاً ومعناً وهكذا كثر ولوج الألفاظ والتراكيب الفارسية فى التركية إلى حدٍ بعيد حتى أصبحت العبارة التركية فارسية فى ألفاظها وما فيها من التركية إلاّ الفعل والرابطة.

وأصبح من المتعذر على قارئها أن يفهم شيئاً منها ما لم يكن راسخ القدم فى الفارسية، وكان ذلك من تقاليد الترك الأدبية التى يأخذ بها كلُّ شاعر وأديب ولا ينفك عنها. ولذلك كانت دراسةٌ اللغة الفارسية والاطلاع على آدابها ضرورةً ثقافية وسبيلاً إلى إكتمال أداة البلاغة التى يقتدر بها أن يعالج فنه الأدبى.

وهكذا نرى فى آثار الشعراء العثمانيين أثراً ملموساً وبارزاً للغة الفارسية وآدابها، بل أن اللغة التركية بفروعها الچغتائية والآذرية والعثمانية إستعارت كثيراً من الكلمات العربية أيضاً عن طريق الفارسية، وبذلك أصبحت التركية مزيجاً من لغات ثلاث: التركية والفارسية والعربية. بحيث أن القارئ والسامع العربى أو الفارسى يتخيل أنه يسمع كلاماً عربياً أو فارسياً يتضمن بضعة ألفاظ لا يعرف معناها. وربما نبع من هنا قول الجاحظ الذى يقول: «إن لغات خراسان (ويقصد الفارسية) ولغة الترك لا تختلف إلاّ فى اللهجة، كما تختلف لغةُ مكة عن لغةِ المدينة»(١).

كما زعم المستشرق هاتشمان «أن العربية والفارسية والتركية فى حقيقة الأمر ثلاث لهجات تنشعب عن لغةٍ واحدة هى لغة الأدب الإسلامى»(٢) ولا شك أنه يبالغ فى حكمه لتوضيح الحقيقة.

ويقول شمس الدين سامى وهو عالم لغوى من أهل المدرسة الحديثة:

1- Bartole : Histoire des Tures d Asie Centrale.
(Traduction Française), Paris 1946, p. 47.
2- Hachtmann : Europiche Kultureinflusse in Turkei, Berlin, 1981, P. 9

نقل عنه د. المصرى فى كتابه السابق ذكره.

الشعرية والفكرية، فتبدلت الحالة الفكرية والروحية والاجتماعية فى البلاد (١).

ولمولانا الرومى قليل من الأشعار التركية تعتبر بحق بواكير الشعر التركى العثمانى، أما فى شعره الفارسى فى مثنويه وفى ديوانه المسمى بديوان شمس تبريزى كثير من ألفاظ وتراكيب تركية وهى ظاهرة تستحق النظر فيها (٢).

ولا شك أن جلال الدين الرومى صاحب فضل فى نشأة الشعر العثمانى وان كان شعره التركى ليس بكثير ونلمح فيه تأثره بلهجته الچغتائية الأصيلة، مع قلة استعمال الكلمات الفارسية. إلاّ أن من ساروا بعده نهجوا نهجه ونظموا الشعر بالتركية الأناضولية لنشر أفكاره الصوفية كابنه سلطان ولد وعاشق پاشا.. كان شعرهم نظماً صوفياً تعليمياً حرصوا أن يفهمه سواد الناسَ لذلك قلّت فى هذه الآثار المنظومةِ وهى مثنويات الكلمات الفارسية والعربية إلى حدٍ، غير أن هذه الآية سرعان ما إنعكست على مر الأيام فدخلت ألفاظ فارسية كثيرة إلى اللغة العثمانية، وحملت معها ألفاظ عربية عديدة.

ونرى ذلك فى أشعار شيخى المتوفى ١٤٢٦م الذى تعلم العلوم والطب فى إيران ففى مثنويه المسمى «خرنامه» وكذا ترجمته مع التصرف لخسرو وشيرين عن الشاعر النظامى، نلحظ ألفاظاً فارسية كثيرة تربو فى العدد على الألفاظ التركية (٣).

---

(١) كوپريلى محمد فؤاد وشهاب الدين سليمان: يكى عثمانلى تاريخ ادبياتى، استانبول، ١٣٣٢، ص ٨٢ وانظر أيضاً: قيام الدولة العثمانيه للأستاذ الدكتور أحمد السعيد سليمان.

(٢) أ.د. حسين مجيب المصرى: صلات بين العرب والفرس والترك، طبع القاهرة، ١٩٧١ص. وقد درس هذه الظاهرة العالم التركى شرف الدين فى كتابه «مولانا ده توركچه كلمه لر وتوركچه شعرلر» استانبول (بالحروف اللاتينية ١٩٣٤ ص٣.

(٣) أ.د. حسين مجيب المصرى: صلات بين العرب والفرس والترك، طبع القاهرة، ص٤١٨.

القصيدة والغزل كما قلّدوا الفرس فى كثير من الفنون الشعرية وأضافوا من عندهم نوعين هما (طويوغ = Tuyug) وشرقى ((Sarki))(١).

ولقد إزدهر أدب الديوان ــ كما نعلم ــ فى أوائل القرن الخامس عشر بشيخى وأحمد پاشا بجميع مواصفاته ومميزاته ووصل إلى عهد الكمال مع باقى وفضولى في القرن السادس عشر الميلادى وارتقى إلى القمّة مع الشيخ غالب فى القرن الثامن عشر الميلادى.

ولهذا الرقى والازدهار علاقة مباشرة باللفظ والمعنى اللذين يشكلان كل بيت من أبيات شعر الديوان.

وشعراء الديوان المجيدون يدققون كثيراً فى إختيار الألفاظ ويلتزمون بالقاعدة التى عليها الضرورة المُلحّة لإستعمال كلمة مكان كلمة وهذه مَيْزَةٌ تفرضها صنعة الطباق أوالتناسب كما يسمونها الأتراك فى علم البديع.

وكانت اللغة العربية فى رأى الأتراك لغة الدين والشريعة، ولذلك كان تعلُّمُ اللغة العربية أمراًضرورياً للأديب أوالشاعر أو العالم التركى، ولكن لم يكن ذلك لهم من سهل الأمور، فنحو اللغة العربية ومتنها ونطقها أمر صعب لكل أعجمى سواء كان تركياً أو إيرانياً، أمّا الفارسية للتركى أسهل نسبياً ولذا مع أننا نرى من العلماء الأتراك من برزوا فى اللغة العربية وآدابها وساهموا فى إرساء التراث الإسلامى نلاحظ كثيراً من العلماء الأتراك يجيدون الفارسية إجادة تامة ويتحدثون بها من غير عناء، أما لغتهم العربية فمتعثرة.

وعلى أية حال فإن الأتراك كانو أكثر إهتماماً بالفارسية لأن صلتها بلغتهم أقوى من صلتها بالعربية، ولا سيما أن العربية دخلت التركية عن طريق اللغة الفارسية الدرية. وهى لغة كان لها إزدهارها تحت حكم السامانيين والسلاجقة والغزنويين والعهد المغولى والدولة العثمانية، وذلك لتشجيع سلاطين وملوك وأمراء هذه الدول للعلماء والأدباء دون النظر إلى

Prof. D2 Faruk K. Timurtas : Tarih içinde Türk Edebiyati. Ankara 1981, S. 7 - 19

«لقد إعتدنا على أدبنا المعاصر وهو يلوح لنا طبيعياً موافقاً. ولكننا إذا نظرنا إلى نص قديم من نصوص النثر الفنى ثم قرأنا شيئاً منه على تركي لا يحذق العربية ولا الفارسية أوسيدة أصابت من العلم حظاً ضئيلاً، أو فارسي يجيد لغته أو عربي واسعَ العلم، وجدنا أنهم جميعاً لا يفقهون مما قرأنا عليهم شيئاً. فهذه الكتب لم تُكتب بالتركية ولا الفارسية ولا العربية، ولقد درج الناس قولهم: أن لغة العثمانيين من ثلاث لغات: هى العربية والفارسية والتركية» (١).

وهذا أيضاً حكم لا يصح إطلاقه ــ كما أشار إليه الأستاذ الدكتور حسين مجيب المصرى فى كتابه صلات بين العرب والفرس والترك ــ والأوجه أن يُقال إنها كتبت بالتركية العثمانية المتميزة بشدةٍ تأثرها من الفارسية ــ هذا مع وجود إختلاف شديد فى سلالات اللغات الثلاثة، إذ أن اللغة العربية من اللغات السامية واللغة الفارسية من لغات الهند ــ أوروبية واللغة التركية من لغات آلتاى أورال التورانية وهى لغات إلتصاقية.

ويقول الأستاذ شادمان أحد علماء إيران فى كتابه «تسخير تمدنِ فرنگى» إن الترك أخذوا عن العربية والفارسية اللفظ والمعنى والبحر والوزن والقافية والموضوع فى المنظوم والمنثور، وذلك لوحدة الدين والجوار وأحداث التاريخ، ولكن فريقاً من شعراء الترك وكتّابهم بالغوا فذروا أحياناً فى طعامهم كثيراً من ملح الفرس حتى عافه الذوق» (٢) وهذا الكلام إن كان منطقياً إلى حدٍ إلاّ أنه يجدر بنا أن نذكر هنا أن شعراء الديوان استخدموا الأوزان العروضية العربية والفارسية (١٩ بحرا) كوحدة للوزن فى نظم الشعر ولكنهم تفننوا فى أنواع النظم وهى عديدة ومتنوعة، وقد قلّدوا العرب فى

---

(١) أ. د. حسين مجيب المصرى: صلات بين العرب والفرس والترك، طبع القاهرة، ص٣٣٣/ ٣٣٤ نرجمة من:

Menzel : Die Turkische Literature, P. 289 - 290.

(٢) سادمان: تسخير تمدن فرنگى: طهران، ١٣٢٩ هـ. ش. نقل عنه د. المصرى فى كتابه السابق ذكره.

أفريقيا وإيران، العقيدة والفكر والانتاج العلمى، وأصبحت تنظر إلى جميع الشعوب الإسلامية نظرة سواسية بناء على تعاليم الإسلام: «لا فرق بين عربى وأعجمى إلا بالتقوى»، «إن أكرمكم عند الله أتقاكم».

فعليه أصبح اللغة والأدب الذى يعبر عن الفكر الإسلامى ووحدته لدى الشعوب الإسلامية التى تحكمها الدولة العثمانية هى اللغة العثمانية، اللغة التركية المتأثرة بالفارسية والعربية والمكتوبة بالحروف العربية. وسمى أدبه بأدب الديوان الذى إرتبط شكلاً وقاعدة بالأسس الفكرية الإسلامية والتصوف الإسلامى ــ كما ذكرنا ــ ونظمه نوع من أشكال النظم الموزون البعيد عن لغة عامة الشعب التركى له طابعه الخاص المرتبط بالشكل والقاعدة والمثالية وله حسه وتصوره المحدود فى دنيا الشعر والخيال. علماً بأن لشعر الديوان قيمته وبهاؤه وهناك كثير من شعر الديوان صيغ بأسلوب سلس واضح لا تعقيد فيه يتصف بالجمال الفنى والذوق الرفيع ويحوز القبول لدى أرباب العلم والأدب على مستوى عالمى.

إننى قد أكون أطلت الكلام أكثر من اللزوم، وإنى أمام كبار الأساتذة والعلماء وهم يعلمون جميعاً ما أقوله، وهو أمر نقرأه كثيراً ونطلع عليه فى الكتب التى تنقد الأدب، إذ لا أحد ينكر تأثر الأدب العثمانى بالأدب الفارسى وعن طريقه باللغة العربية. بل أقول تزاوج الأدبين الفارسى والعثمانى على أساس أن للتركية أثر فى الفارسية ولو كان محدوداً بل الترك هم مشجعو الأدب الفارسى والمساهمين فى رقية وازدهاره دون تعصب فى العهد السامانى والسلجوقى والغزنوى والتيمورى والعثمانى.. وهناك كثيرون من الترك نظموا الشعر وكتبوا النثر باللغة الفارسية بل كانوا رواداً فى أدبها، ولكن تلك المعلومات كثيراً ما تأتى بصورة نظرية، وإنى هنا أجتهد أن أثبت هذا الأمر عن طريق ترجمة نماذج من الأدبين العثمانى والفارسى إلى الفارسية والعثمانية مع رعاية الأسلوب والوزن والقافية وعدم الإخلال بالمحسنات البديعية قدر المستطاع، كما أقوم بترجمة تلك النصوص إلى العربية نثراً لإفادة القارئ العربى الغير متخصص فى اللغة الفارسية والتركية ــ والله ولى التوفيق.

قومياتهم المختلفة. ولذلك كانت اللغة الفارسية لغة الدواوين وشعراء الفرس قدوة لشعراء الترك فى الوطن التركى الكبير بدءاً من تركستان إلى بلاد الأناضول.

ولا عجب فى ذلك، إذ أن بين الشعوب الإسلامية ولا سيما الشعوب العربية والفارسية والتركية صلات وأواصر تتساند كلها فى وحدة وترابط جلية القسمات متسقة، يشوه من جمالها أن ينتقص شيء من كمالها أو يُنصل لونٌ زاهٍ من ألوانها (١).

فمن عجب بل ومن أسف ــ كما يقول الأستاذ الدكتور حسين مجيب المصرى واتفق معه فى رأيه ــ أن يكون فى معرفة كثير من المثقفين البادئين منهم والمنتهين فجوة وسيعة فيما يتعلق بالصلات بين الشعوب الإسلامية، وهذا ما لا ينبغى أن يكون وتلك حقيقةٌ لا يسعهم أن يجهلوها كائناً من كان السبب.

ومعلوم أن الإسلام ألّف بين الشعوب التى إعتنقها مع تباين أجناسها وألسنتها وحضاراتها ومشاربها، ودعى المسلمين إلى الإخاء والمودة والوحدة والتكتل، واستطاع تأسيس مجتمع صالح لا من أمة عربية فحسب بل من أمم مختلفة، فجعل التماثل عوضاً من التغابر وأحلّ التقارب محل التباعد بل وفى الكثير من الأحيان جمع كل تلك الشعوب على صنيع واحدٍ. وبهذا وذلك أثبت الإسلام أنه عدلٌ كلّه وحكمةٌ فى أحكامه وحدوده وأنه أبدىّ. « ذلك الدين القيّم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » الآية (٢).

والدولة العثمانية التى نسبت إليها اللغة التركية وآدابها وعرفت باللغة العثمانية وأدب الديوان دولة إسلامية وحدّت الشعوب الإسلامية وهى تتسع نحو الشرق والغرب، كما وحّد قيامُ الخلافة الإسلامية العثمانية بعد فتح السلطان سليم مصر وامتداد الفتوحات العثمانية فى الجزيرة العربية وشمال

---

(١) أ.د. حسين مجيب المصرى: صلات بين العرب والفرس والترك ــ المقدمة ص ٨.
(٢) نفس المرجع.

إن رقص السرو وحالة الورد لا يحلوان دون صوت البلبل
والخلوة مع حبيبة ذات شفة سكرية وقامة وردية لا تحلو دون قبلة
إن الروح لعملة حقيرة يا حافظ فلا تحلو ولا تليق للنثار والفداء

٣ــ ولنأخذ غزلاً موشحاً لاسم أحمد للشاعر العثمانى محيى الگلشنى المتوفى ١٠١٢هـ/ ١٦٠٤م ونحاول ترجمتها إلى الفارسية موشحاً بنفس الأسلوب والوزن والقافية يقول شاعرنا:

النص العثمانى	الترجمة الفارسية
أى رخك آيينهٔ گيتى نما	اى رخت آينهٔ گيتى نما
اولدى رو يكله دل وجان پرضيا	گشته از رويت دل وجان پرضيا
حالت عشقكدرر جسممده روح	حالت عشقت بُوَد در جسم وروح
حمد آكاكم عشقك ايتدى جانفزا	حمد آنكه كرد عشقت جانفزا
مدحك ايتمكده ديلم قاصر بنم	مدح تو گويم بتقصير شديد
مهرى نيجه مدح ايده ذره شها	كى تواند ذره مدح خور، شها
دايما سندن اومر بودل مدد	دايما خواهد زتو اين دل مدد
درده درمان ايله لطف ايت دائما	دردرا درمان كن ولطف دايما
هرزمان ظلم ايلريدك محيى يه	هرزمان ظلم وستم كردى باو
هاى ظالم جور كيله قددوتا	از جفا باشد قدِ محيى دوتا

اى طرازى، صبر كن صبر جزيل
گر بخواهى رفع گرددابن بلا

الترجمة العربية:

يا من وجهك (خدك) مرآة تشاهد فيها العالم، إن القلب والروح قد امتلئا بالضياء بلقياك. إن حالة عشقكك روح فى جسمى، فالحمد لمن جعل عشقك مُحييياً ومنشطا للروح. إن مدحك جعل لسانى قاصرا. كيف يمكن للذرة ان تمدح الشمس أيها الملك. ودوماً يطلب هذا القلب الود والعون منك، فاجعل للآم علاجاً والطف دائما. ولما كنت تظلم محيى فى كل وقت، فيا أيها الظالم، إن القامة قد انحنت

١ ــ لنبدأ بترجمة بيتين للشاعر العربى فتيان الأسدى الشافورى ، وهو من شعراء القرن الثانى عشر الميلادى : يقول الشاعر:

الورد بوجنتيكِ زاهٍ زاهر ... والسحر بمقلتيكِ واف وافر
والعاشق فى هواكِ ساه ساهر ... يرجو ويخاف ، فهو شاك شاكر

وقد قمت بترجمته إلى الفارسية قائلاً :

گل بررخسار تو زاهى زاهر ... سحر بر مژگان تو وافى وافر
عاشق زعشق تو ساهى ساهر ... در خوف ورجا است ، شاكى شاكر

وإلى التركية العثمانية :

گل رخسارکده زاهى زاهر ... سحر مژ گانکده وافى وافر
عاشق عشقکله ساهى ساهر ... خوف ورجا ده ، شاكى شاكر

٢ ــ والشاعر الإيرانى الكبير حافظ الشيرازى يقول فى غزل له :

النص الفارسى	الترجمة العثمانية
گل بى رخ يار خوش نباشد	گل بى رخ يار خوش دكلدر
بى باده بهار خوش نباشد	بى باده بهار خوش دكلدر
طرف چمن وطواف بُستان	طرف چمن وطواف بُستان
بى لاله عذار خوش نباشد	بى لاله عذار خوش دكلدر
رقصيدن سرو وحالت گل	گل حالتى ، رقص سروشمشاد
بى صوت هزار خوش نباشد	بى صوت هزار خوش دكلدر
بايارِ شكر لبِ گل اندام	شكّر لب وسيمين بدن يارله
بى بوس وكنار خوش نباشد	بى بوس ، كنار خوش دكلدر
جان نقد محقر است «حافظ»	جان نقد محقر در «طرازى»
از بهر نثار خوش نباشد	او بهر نثار خوش دكلدر

أما الترجمة العربية نثرا للإفادة لا المقارنة كالآتى :

لا يحلو الورد دون وجه الحبيب ... ولا يحلو الربيع دون نبيذ الزبيب
إن طرف المرج وطواف البستان ... لا يحلو دون عذار شقايق النعمان

نه مملكت، مملكت دولت چه مملكت، مملكت دولت
نه دولت، دولت قيصر چه دولت، دولت قيصر

° ° °

قپو كده قوللرك بيحد به در بارت بوند بيحد
ولى كمتر قولك أحمد مثال كمترين أحمد
نه أحمد، أحمد داعى چه أحمد، أحمد داعى
نه داعى، داعى كمتر چه داعى، داعى كمتر

° ° °

طرازى كرد اين ساغر مهيااز خامه شاعر
چه شاعر، شاعر تركى چه تركى، تركى شكر

الترجمة العربية :

أيتها الشمس، ذات جسم قمرى(فضى)إن جمالك مشترى المنظر
أى منظر؟ إنه منظر طالع وأى طالع، إنه طالع أنور
من جمالك، العالم ضياء ومن شفتك، الدهر روض
أى روض، روض الجنة أى جنة، جنة الكوثر
إن وجهك آية للرحمة وانت، مظهر للقدرة
أى قدرة، قدرة الصانع أى صانع، الصانع الأكبر
انك فزت فى لعبة شطرنج الفلك وامسكت بزمام مملكة السعادة
أى مملكة، مملكة الدولة وأى دولة، دولة القيصر
فى بابك عبادك دون حد وعبدك الأقل أحمد
أى أحمد، أحمد الداعى أى داعى، الداعى الأحقر
إن الطرازى قد أعد هذا الكأس من قلم شاعر ولا بأس
أى شاعر، شاعر التركية أى تركية، تركية كالسكر!

٥ ــ ولنجرب حظنا الآن مع الشاعر سليمان چلبى المتوفى ٨٢٥هـ/ ١٤٢١م صاحب المنظومة المشهورة فى المولد النبوى المسماة بوسيلة النجاة..

بجوارك. يا طرازى، اصبر صبرا جزيلاً. إذا اردت أن يُرفع عنك هذا البلاء.

٤ــ والآن ولنشاهد ظرف التزاوج الأدبى بين اللغتين الإسلاميتين الشقيقتين الفارسية والعثمانية ونحن نتناول شعر الشاعر العثمانى أحمد الداعى المتوفى سنة ٨١٥هـ/١٤١١م وذلك عن طريق ترجمته إلى اللغة الدرية: يقول شاعرنا:

النص العثمانى	الترجمة الفارسية
ايا خورشيد مه پيكر	أيا خورشيد مه پيكر
جمالك مشترى منظر	جمالت مشترى منظر
نه منظر، منظر طالع	چه منظر، منظر طالع
نه طالع، طالع أنور	چه طالع، طالع أنور

* * *

جمالكدن جهان روشن	جمالت كرد جهان روشن
دودا غكدن زمان گلشن	زلهايت زمان گلشن
نه گلشن، گلشن جنت	چه گلشن، گلشن جنت
نه جنت، جنت كوثر	چه جنت، جنت كوثر

* * *

يوز وكدر آيت رحمت	رويت شد آيت رحمت
اوز وكدر مظهر قدرت	خودت باشى نشان قدرت
نه قدرت، قدرت صانع	چه قدرت، قدرت صانع
نه صانع، صانع أكبر	چه صانع، صانع أكبر

* * *

فلك شطر نجنى اوتدك	ببردى از فلك شطرنج
سعادت ملكنى طوتدك	سعادت ملكتى پرگنج

صلوتى گو بر محمد آل او
هم صحابه، تابعين أطهار او

الترجمة العربية :

الوداع يا روح المحبوب الوداع — الوداع يا قمر المضئ الوداع
الوداع يا ملك العشاق — الوداع يا سيد ملك الآفاق
الوداع يا بلبل حديقة الجمال — الوداع يا حبيب ذى الجلال
الوداع يا جوهر الدر اليتيم — الوداع يا باعث النور العظيم
الوداع يا مليكى وسلطانى — الوداع يا دواء آلامى ودائى
خذوا العبرة من المصطفى — فبحق الله، أحد منا لن يبقى
ومهما عاش أحد سنوات كثيرة — فالموت فى النهاية هو مصيره
آه منك أيها الموت، آه — لم ينج منك مسكين ولا شاه (ملك)
وكل من هو عاقل ورجل سعيد — فالموت يكفيه واعظاً له وناصحاً أكيد
وإذا أردتم من النار النجاة — قولوا بالحب والخشوع للنبى الصلاة

٦ــ اسمحو لى أن انتقل الآن إلى رحاب الشاعر نوعى المتوفى سنة ١٥٩٥م الذى عرف فى عصره بكثرة البذل والعطاء والانتاج العلمى والأدبى باللغات الإسلامية الثلاث العربية والفارسية والتركية. ومع أنه لم يصل فى الشهرة والصيت كشاعر إلى مرتبة الشاعر باقى إلا أنه يشغل مكاناً بارزاً بين العلماء والشعراء المجيدين.

وله قصيدة رائعة تعرف بالقصيدة الدارية (قصيدة داريه)، انشأها فى وصف قصر أنشىء حديثا، يبدأ الشاعر بأسلوب إنشائى أدبى استفهامى الذى يتميز باعطاء الكلام حيوية ويزيد من الاقناع والتأثير به وذلك لما فيه من إثارة للسامع وجذب لانتباهه ومن اشراكه فى التفكير ليصل بنفسه إلى الجواب دون أن يُملى عليه. ثم يصف القصر وصفا تفصيليا رائعا بخيال شاعرى يتمتع بالاستاذية فى اختيار اللفظ واستخدام البلاغة بفروعها الثلاث: المعانى والبيان والبديع حسب مقتضى الحال مع التمسك بالايجاز فى التعبير.

نحاول ترجمة أبيات من هذا الأثر العظيم إلى الفارسية. ولا شك أنه يعتبر باكورة للشعر العثمانى وهو سهل ممتنع وأصيل يُضفى الروحانية والشاعرية على حبه لنبى الإسلام محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، فيه تكرار لمقطع شعر أكسب المنظومة روعةً وجمالاً وشهرةً وجلالاً والصلاحية للترنم به فى مناسبات شتى ولاسيما مناسبة المولد النبوى الشريف. يقول رحمة الله عليه فى وفاة الرسول:

النص العثمانى	الترجمة الفارسية
الوداع اى جان جانان الوداع	
الوداع اى ماه تابان الوداع	
الوداع اى پادشاه عاشقان	
الوداع اى سرور شاه جهان	فارسية لا تحتاج إلى الترجمة
الوداع اى بلبل باغ جمال	
الوداع اى آشناى ذو الجلال	
الوداع اى گوهر دُرِّ يتيم	
الوداع اى باعث نور عظيم	
الوداع اى شاه سلطانم بنم	الوداع اى شاه وسلطانم تويى
الوداع اى درده در مانم بنم	الوداع اى دردو در مانم تويى
مصطفى دن عبرت آلك سزدخى	از محمد مصطفى پندى بگير
بيرمز قالميَسَر تاكرى حقى	كس نماند جاودان در دهر پير
هرنه چوق يشاريسه ده بركيشى	هر قدر عمر دراز دارد بشر
عاقبت اولمك درر آنك ايشى	عاقبت مردن بود، بى كروفر
آه الكدن موت سندن آه وآه..	آه زد ستت موت آه ووه زتو
نه گدا قور تلور الكدن نه شاه	نه گدا ناجى شود نه شه زتو
هركيم اوله عاقل ودولتلو ار	هركه باشد عاقل ومرديخرد
واعظ وناصح آكا اولوم يتر	بهر وعظ وعبرتش مردن سزد
گرديلر سز بوله سز اود دن نجات	گر بخواهى در بيابى تونجات
عشقيلة.. دردیله.. ايدك الصلات	از عذاب نار دوزخ در وفات

زبدهٔ اهل زمین چشم وچراغ آسمان

حضرت پاشای روشن رای گردون احتشام لا يحتاج للترجمة لأنها فارسية

صاحب تدبیر پیر ومالك بخت جوان

آستانکدر همای دولتك منزلگهی آستانت منزل عنقای دولت هم هما

گرچه کم مشهور در اولز همایه آشیان گرچه مشهور است نباشد برهما هیچ آشیان

نوعی یه لطف ایت ، معین اول کم ظهیر وقت اوله لطف کن برنوعی ویار طرازی هم بشو

باقی یی سلطان سلیمان ایتدی سلمان زمان تاظهیر وقت گردد یاچو باقی جاودان

والترجمة العربية لبعض أبيات هذه القصيدة مع التصرف البسيط مراعاة للسجع كالآتى :

أهو قصر الجنة أم حديقة أرم او روضة غناء

أو حرم القدس او بيت الحرم أو السماء ؟

انه السماء ، سماء لها الثبات

أنه الروض ، ولكنه روض بلا خريف وفناء

فظِلُّ سقفه المبارك مكان لتجلى الهما (الهما: طائر اسطورى مبارك)

وطرة طاقه العالى مظلة للسماء

سعة ايوانه وبُعده وراء الجهات الست

وفسحة حدود ساحته متسعة كالهواء

كل عمود له فى مكانه كأركان الدولة

الواقفين على الأرجل مستعدين للخدمة والفداء .

إن من قاموا بوصف روعة أبياته الموزونة ، قالوا :

إن كل واحد قد أتى بهدية من أبكار أفكار العظماء !

فإن ضياء مشكاته مقتبس من شعر الأنورى

ومصرع زجاجه من ديوان الجامى منتقاء

إنهم بنوا طاقاً عاليا وأقاموا مجلساً خاصاً

لا يستطيع أن يكون له شمعداناً رابع السماوات للضياء

الشمس لا تجد الطريق للدخول إلى ذلك المجلس الخاص

فتجعل أشعتها حبلا لتنزل من نافذته تاركة الكبرياء

ومع أن شاعرنا يبالغ فى استخدام الكلمات الفارسية وبعض الكلمات العربية إلا أن القصيدة تستطيع أن تكون نموذجاً رائعاً للأدب العثمانى والتزاوج الأدبى بين الأدبين الفارسى والعثمانى.

يقول شاعرنا:

النص العثمانى	الترجمة الفارسية
قصر جنت مى بو، يا باغ ارم يا گلستان	= قصر جنت يا ارم يا باغ قشنگ گلستان
يا حريم قدس يا بيت الحرم يا آسمان؟	يا حريم قدس يا بيت الحرم يا آسمان؟
آسماندر گرچه اما آسمان باثبات	آسمانست گرچه اما آسمان باثبات
گلستاندر گرچه اما گلستان بى خزان	گلستانست گرچه اما گلستان بيخزان
سايهٔ سقف همايونى همايه جلوه گاه	سايهٔ سقف همايونش تجلى گاه دوست
طرهٔ طاق سرا فرازى سپهره سايه بان	طرهٔ طاق فرازش بر سپهر است سايبان
وسعتِ ايوانكك بُعدى ورای شش جهات	وسعت ايوان زبُعدش ورای شش جهات
فسحت ميدانكك سر حدّى، حد لامكان	فسحت سر حدّ ميدانش، حدّ لامكان
هرستونى جابجا اركان دولتدر مكر	هرستونش جابجا اركان دولت هم حشم
برياغ اوزره طور رخدمتده دامن درميان	پابه برجا، دست بردست ودامن درميان
صنعت ابيات موزونن گورن وصافلر	شاعر انيكه بوند شاهد عيانِ طبع شعر
هربرى ابكار افكارين گتورمش ارمغان	هريكى بروى كندا بكار افكار ارمغان
پرتو مشكاتى بيت انورى دن مقتبس	پرتو مشكات اوچيده زبيت انورى
جامنك مصرعلرى ديوان جامى دن نشان	مصرع جامش زديوان جامى يك نشان
ياپديلر بر طاق عالى، قوردىلر بر بزم خاص	ساختنديك طاق عالى، برفگندند بزم خاص
كم رواق چارمين اول بزمه اولمز شمعدان	كه رواق چارمين لايق نباشد شمعدان
آفتاب اول بزم خاصه گيرمكه يول بولىوب	آفتاب بربزم او ره در نيابد از درش
روزنندن دوشمكه ايلر شعاعن ريسمان	ميكند از روزنه داخل شعاعش ريسمان
قصرينه يول بولغه شبرولك ايلر گرچه ماه	ماه گرچه در طريق قصر شباخون ميزند
كنكر ايوانه ايرمز كمند كهكشان	چارو ناچار در برون ماند، كمند كهكشان
اى نظام الملك آصف منقبت يوسف لقا	

رتبهٔ ادبار عالی، پایه تدبیر دون — رتبهٔ ادبار عالی، پایه تدبیر دون
عقل دون همت، صدای طعنه بریردن بلند — عقل دون همت، صدای طعنهٔ ازهرجا بلند
بخت کم شفقت، بلای عشق گون گوندن فزون — بخت کم شفقت، بلای عشق روزا زروز فزون
من غریب ملك، راه وصل پرتشویش ومکر — من غریب ملك راه وصل پرتشویش ومکر
من حریف ساده لوح ودهر پرنقش وفسون — من حریف ساده لوح ودهر پرنقش وفسون
هرسهی قد جلوه سی برسیل طوفان بلا — هرسهی قد جلوه اش یك سیل طوفان بلا
هر هلال ابروقاشی بر سرخط مشق جنون — هر هلال ابرو نشانهٔ سر خط مشق جنون
یلده برك لاله تك تمکین دانش بی ثبات — همچو برك لاله لرزد تمکین دانش بی ثبات
صوده عکس لاله تك تأثیر دولت واژگون — همچو عکس لاله در آب، تأثیر دولت واژگون
سرحد مطلوبه پرمحنت طریق امتحان — کی رسم بر مطلب وپر محنت طریق امتحان
منزل مقصوده پر آسیب راه آزمون — کی رسم بر مقصد وپر آسیب راه آزمون
شاهد مقصد نوای چنك تك پرده نشین — شاهد مقصد نوای چنك وش پرده نشین
ساغر عشرت حباب صاف صهبا تك نگون — ساغر عشرت، حباب صاف صهبا سر نگون
تفرقه حاصل طریق ملك جمعیت مخوف — تفرقه حاصل، طریق ملك جمعیت مخوف
آه بیلمن نیلیم یوخ بر موافق رهنمون — آه، صد حسرت، نباشدیك موافق رهنمون
چهرهٔ زردین فضولینك طوتو بدر اشك آل — چهرهٔ زرد فضولی أشك آلود وحزین
گور آکا، نه رنگلر چکمش سپهر نیلگون — تو بحال او نگر، زخم سپهر نیلگون

وین طرازی کزغم دوران بسوخته سینه اش
ترك میهن کرده از ظلم عدوّ خوار خون

وترجمته العربية :

الصديق لا يبالى والفلك لا يرحم والزمن لا سكون له
الآلام كثيرة، ولا يوجد مواسى، والعدو قوى والطالع منكوس
ظل الأمل زائل، وشمس الشوق حارقة
ورتبة الادبار (التعاسة) عالية ودرجة التدبير ضعيفة
والعقل قليل الهمة وصوت الطعن مرتفع فى كل مكان
والحظ قليل الشفقة، وبلاء الحب يزداد يوماً فيوما
إننى غريب الديار وطريق الوصل ملئ بالتشويش والمكر

أما القمر يسلك الطريق كسارق الليل ولكن
شبكته للقنص لا تصل إلى سقف الديوان ، فليحاول ما يشاء !
....إلخ

٧ــ والآن ، ننتقل إلى عهد ازدهار ورقى الأدب العثمانى . إلى القرن السادس عشر الميلادى حيث لمع نجم كثير من الشعراء المجيدين أمثال باقى وفضولى وزاع صيتهم فى أرجاء العالم واعترف الجميع من نقاد الشرق والغرب أنها أعجوبة الدهر والأوان وشعرهما نموذج رائع لأساليب البيان .. نختار فضولى أشهر شعراء الزمان الذى يتنافس مع زميله باقى فى امارة الشعر بين شعراء الديوان ، له غزل مشهور يشكو فيه عما يدور فى عصره الذى صوّره بخيال شاعرى خصب لا خلاف فيه ولا قول الزور ، أما لفظه فسهلٌ حسنُ الوقع والمعنى مسلسلٌ مطرد ، لا يحتاج إلى جهد ممل للذهن ولا إطالة للتأمل والكد ، وقد أثنى عليه جمهور العلماء والنقاد واعتبروه أشهر شاعر غزل على رؤوس الاشهاد . انه رائعة ضمّنت كثيراً من فنون البلاغة مع أنها حوت عددا كبيراً من كلمات وتراكيب فارسية استخدمت فيها الألفاظ التركية بلهجة آذرية كأداة ظرف وربط أوفعل كمالة للجملة .

ولا عجب فى ذلك ، وفضولى شاعر الوحى والطبيعة والابتكار ، له يد طولى فى اللغات الاسلامية الثلاث العربية والفارسية والتركية ، يبتكر عندما يكون مغلوبا لوجدانه ويقلد دون أن يترك لغيرة فرصة تقليده عندما يكون تابعا لأفكاره ، لا يهتم للبديع وهو ملهم بوجدانه ويتمسك بفنون البلاغة وهو يكتب الشعر بفكره وسجيته ، ورسالة «شكا يتنامه» نموذج رائع للنثر العثمانى تجمع بين وجدانه وفكره إذ يصف الحالة الاجتماعية فى زمانه أحسن وصف بأبلغ تعبير وأفصحه .

يقول شاعرنا فى غزله المشهور :

النص العثمانى	الترجمة الفارسية
دوست بى پروا ، فلك بى رحم ، دوران بى سكون	دوست بى پروا ، فلك بى رحم ، دوران بى سكون
درد چوخ ، همدر ديوخ ، دشمن قوى ، طالع زبون	دردبيش ازحد خود ، دشمن قوى ، طالع زبون
سايهٔ اميد زايل ، آفتاب شوق گرم	سايهٔ اميد زائل ، آفتاب شوق گرم

كما لكى گوره مز، وهم تيزپر دا من سرداق جلالكه ايره مز، نسر طائر خاطر انسانى كه هر وقت موجودات علوى وسفلى شكار مخلب ومنقاريدر، بر نفس ربوبيتك هوا سنده پر آچوب اوچه ماز، وطاووس عقل وفكرت آدمى كه روز وشب فضاى ملكوت و صحراى جبروته جلوه سازدر برقدم الوهيتك ساحة سنده سياحت ايده مز، برعلم سك كه علمكه غايت يوق، بر قدير سك كه قدر تكه نهايت يوق. قد يمسك، عقول متقدمين ومتأخرين دائرهٔ قد مكه قدم باصه ماز حكمت سك، حكماى أولين وآخرين حكمت معرفتكدن دم برمعشوقسك كه عشقك هوا سنده افلاك چرخه گيروب اوينار، بر محبوبسك كه شوقك دردندن بوتون گون آسياى چرخ ايكلر.

وهم تيزپر بدا من سرادق جلالت نتواند رسيد نسر طائر خاطر انسانى كه هروقت موجودات علوى وسفلى شكار مخلب ومنقار آنست يك نفس در هواى ربوبيتت نتواند پروازكند وطاووس عقل وفكرت آدمى كه روز وشب درفضاى ملكوت وصحراى جبروت جلوه ساز است نتواند قدمى در ساحهٔ الوهيتت بردارد توعلمى كه علمت را غايت نيست، قديرى كه قدرتت را نهايت نيست قديمى كه عقول متقدمين ومتأخرين نتواند بردائرهٔ قِدمت قَدم گذارد، حكيمى كه حكماى اولين وآخرين نتوانند از حكمت معرفتت دم زنند معشوقى كه در هواى عشقت افلاك چرخد محبوبى كه از درد اشتياقت تمام روز آسياى چرخ نالد.

الترجمة العربيه:

إلهى.. أنت مبدع والعدم خزانة ابداعك. أنت موجد والعدم وسيلة اختراعك. إن العقل البعيد النظر لا يستطيع أن يرى أفق ذروة كمالك، والخيال السريع الجناح لا يستطيع أن يصل إلى أذيال سرادق جلالك. إن النسر الطائر للخاطر الانسانى الذى يصطاد بمخلبه ومنقاره الموجودات العلوية والسفلية لا يستطيع أن يبسط جناحيه ويطير فى أجواء ربوبيتك ولو لحظة، وطاووس عقل وفكر الآدمى الذى يتجلى ليل نهار فى فضاء الملكوت وصحراء الجبروت لا يستطيع أن يخطو خطوة ويجول فى ساحة ألوهيتك.

إنك عليمٌ ولا غاية لعلمك وقدير لا نهاية لقدرتك. قديم لا تستطيع عقول المتقدمين والمتأخرين أن تضع قدماً على دائرة قدمك، حكيمٌ لا يستطيع حكماء الأولين والآخرين (الجدد) أن يتفوهوا بكلمة عن حكمة معرفتك.

إنك معشوق تدور الأفلاك فى مجال عشقك، محبوب تئنُّ طاحونة السماء طوال اليوم من آلام اشتياقك!...

إننى منافس سنجر، والدهر ملئ بالحيل والسحر
إن تجلى كل صاحب قدٍّ رشيق لهو على سيل لطوفان البلاء
وحاجب كل من هو هلالى الحاجبين لهو لوحة مشق للجنون
ورقة الشقائق وحيدة أمام الريح ولا ثبات للمعرفة والتمكن منها
وصورة الشقائق فريدة على الماء وأثر السعادة فيها مقلوب
طريق الامتحان للوصول إلى المقصود ملئ بالمحن
وكيف يمكن لى أن أصل إليه وطريق الاختبار ملئ بالأذى
والمحبوب المقصود جالس لوحده بين الأستار مثل لحن الربابة
أما كأس العشرة منعكس ومقلوب كحباب الصهباء الصافية
التفرقة حاصلة، وطريق مُلْكِ المجتمع شىء مخيف
آه، لا أدرى، ماذا أصنع؟ إذ ليس لى دليل مرشد
اما وجه «الفضولى» المصفر فلئ بالدموع الدامية
انظر إليه.. أى ألوان خطها عليه الفلك الأزرق؟
و«الطرازى» هذا الذى احترق صدره من هموم الزمان
قد ترك الوطن، من ظلم عدو سفاك للدماء

٨ــ وختاماً يسعدنى أن أختم الصحبة بترجمة فقرات من تضرعات سنان باشا رائد النثر العثمانى حتى تنتهى الصحبة بالثناء والدعاء ليدوم اللقاء والبذل والعطاء بين أحبة هم فى ركب العلم أشقاء، وأكون قد قدمت أيضا نموذجا من النثر العثمانى المتأثر بالأدب الفارسى، وسنان باشا هو أول من اقتبس فى زمانه فى التركية من الآداب الشرقية وقلدها بصورة لا يمكن الاحساس بتقليده لها.

يقول رحمة الله عليه وأرضاه فى تضرعاته التى قيل إنها تقليد لمناجاة الصوفى عبد الله الأنصارى:

النص العثمانى	الترجمة الفارسية
الهى ــ برمبدعسك كه عدم خزانهٔ	الهى ــ تومبدعى كه عدم خزانهٔ ابداع تواست
ابدا عكدر، برموجد سك كه يوقلق وسيلهٔ	موجدى كه نيستى وسيلهٔ اختراع تواست
اختراعكدر. عقل دوربين افق ذروهٔ	عقل دوربين افق ذروهٔ كمالت رانتواند ديد

رابعاً: أبحاث حول تاريخ المشرق الإسلامى
ـ التوصيات ـ

لمحات من تاريخ تركستان

للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد متولى وكيل كلية الآداب بجامعة عين شمس ورئيس قسم اللغة التركية

تعتبر تركستان موطن الترك، وتمتد من بحر الخزر ونهر أورال غرباً إلى حدود التبت ومنغوليا والصين شرقاً وسيبيريا شمالاً وإيران وأفغانستان جنوباً.

وتحتوى على أقاليم بلاد ختن وكاشغر وما وراء النهر والصغد وخوارزم وجزء من خراسان وبدخشان وبامير.

وأهم القبائل التركية القاطنة فى تركستان حسب الكثافة السكانية: القازاق والأوزبك والقرغيز والتركمان والقاراقالپان.

وقد وفد على تركستان أيام الفتح الإسلامى وبعده أكثر من ٧٢ ألف نسمة من العرب، واستقروا هناك وتتركوا، وأصبحوا يتكلمون باللغة الجغتائية (الأوزبكية) والتاجيكية.

وإذا أردنا أن نقدم احصاء للسكان التركستانيين، وجدنا الأمر جد شاق فقد سيطر التنين الأصفر على تركستان الشرقية وسماها سنكيانغ أى (الولاية الجديدة)، واجتاح الدب الروسى الأحمر تركستان الغربية ودعاها جمهوريات آسيا الوسطى السوفيتية. ولا يخفى على أحد البطش الشيوعى فى شطرى تركستان وكبت شعبها وكتم المعلومات وتزييف الحقائق عن مجاهديها.

وقد تمت السيطرة الصينية الكاملة على تركستان الشرقية سنة ١٩٤٩ أما تركستان الغربية فقد تم للروس السيطرة الكاملة عليها سنة ١٩٢٣. وقد أباد

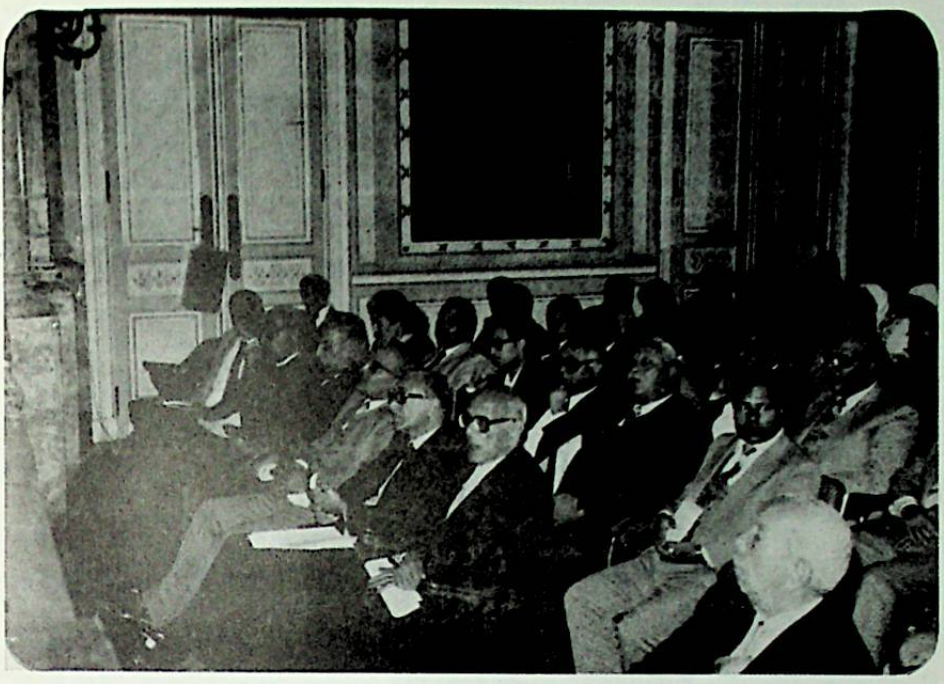

جموع الأساتذه وكبار الشخصيات والسفراء والطلبة والطالبات الذين حضروا جلسات الندوة.

غير مباشرة من خلال الساسانيين. ولم تبدأ الصلات بين الطرفين مباشرة إلا أيام الفتوحات العربية فيما وراء النهر.

وفى عهد الخلفاء الراشدين، بدأت العلاقات والصلات فى عهد عمر بن الخطاب فبعد أن هزم يزدجرد امام العرب فى معركة نهاوند سنة ٢١ هـ (٦٤١م)، ولم يتمكن من ايقاف تدفقهم على بلاد فارس بقيادة الأحنف بن قيس، استنجد بخاقان الترك فيما وراء النهر. نهض خاقان الترك لمساعدة يزدجرد بجنود من أهل فرغانة والصغد وتوجه ومعه يزدجرد إلى بلخ للقاء العرب. ولم يتمكن الأحنف من الصمود أمام هذه الحشود الهائلة، فتراجع عن بعض المناطق فى بلاد فارس أما خاقان الترك فقد انسحب من ميدان المعركة بعد ذلك. ويقال انه انسحب لعلمه بحشود صينية على حدوده فيما وراء النهر، او لأنه وجد أنه لا قبل له بالعرب على حد قول الطبرى.

وفى عهد عمر بن الخطاب اجتاز العرب النهر، وتقدموا فيما وراءه فى المناطق الداخلية وقد تغيرت خريطة الحدود فى عهد عمر، واتسعت رقعة الديار الإسلامية بجهوده المكثفة التى بذلها فى بلاد الفرس والترك وفيما وراء النهر، حتى بلغت حدود المسلمين بلاد قفقاسيا.

وقد اصطدمت جيوش المسلمين بالترك الموجودين فى مناطق خراسان وما وراء النهر وطخارستان واستمرت هذه المصادمات مدة طويلة.

وبعد معركة نهاوند سنة ٦٤١م، فتح طريق خراسان وطخارستان أمام القوات الإسلامية بعد أن تم فتح شرق إيران. وبعد أن دخل الأحنف بن قيس قائد مقدمة قوات عبدالله بن عامر خراسان، فتح هراة ونيسابور وسرخس ثم سار نحو مرو. هكذا فتح الأحنف خراسان، واستقر فى مرو.

وبعد أن استشهد الخليفة عمر حدثت اضطرابات وقلاقل فى مناطق خراسان وطخارستان وفقد المسلمون بعض المدن الهامة فى هذه المناطق. وخلال الفترة من سنة ٦٥٠م إلى سنة ٦٨٠م تمكن عبدالله بن عامر من استعادة المدن التى فقدت وتأكيد الحكم فى المناطق التى فتحت من قبل، كما تذكر المصادر التركية.

قطبا الشيوعية الحمراء حوالى خمسة ملايين من التركستانيين خلال فترات السيطرة على تركستان. واضطر أربعة ملايين من أفراد الشعب إلى الهجرة إلى البلاد الإسلامية والغربية أمام البطش الأحمر.

وعلى أية حال فالتعداد الذى أعلنه الروس سنة ١٩٣٩ لتركستان الغربية يبلغ ١٧,٦٣٦٧٦٠ نسمة، وتركستان الشرقية ١٣ مليون نسمة.

وبعد ثورة أكتوبر ١٩١٧ قسم السوفييت تركستان الغربية إلى خمس جمهوريات تعرف بجمهوريات آسيا الوسطى السوفيتية وتم الغاء اسم تركستان.

بدأ استيلاء الروس على بعض الأجزاء من سنة ١٨٦٤م إلى سنة ١٨٨١م وقد بدأت مقاومة شعب تركستان الغربية للاحتلال الشيوعى الروسى تشتد عندما أعلنت ثورة أكتوبر ١٩١٧ وحتى تم للروس القضاء على كل مقاومة فى سنة ١٩٣٢.

الفتح العربى لبلاد تركستان

قبل دخول الترك فى الإسلام، كانت لهم صلات وعلاقات بالعرب نوجزها فيما يلى:

لم تكن علاقات الترك بالعرب علاقات مباشرة قبل الإسلام. لقد بدأت العلاقات بين الطرفين من خلال الامبراطورية الساسانية لبعد المسافة بين العرب والترك.

ففى عهد هرمز الرابع اشتركت عناصر من العرب فى الحرب التى أدارها قائده بهرام چوبين سنة ٥٨٨م ضد خاقان الكوك تورك باكا خاقان. ثم توالت العلاقات والصلات بعد ذلك من خلال الساسانيين ونرى صدى هذه الصلات واضحاً من خلال الشعر الجاهلى. فقد ذكر شعراء الجاهلية أمثال حسان وحنظلة والنابغة الذبيانى واوس بن حجر والشماخ بن ضرار عساكر الترك مشيدين ببطولاتهم.

وهكذا نرى أن الصلات بين العرب والترك قبل الإسلام كانت صلات

هذه المخاطر كانت فى منطقتى طخارستان وما وراء النهر. وكان الترك يشكلون الغالبية العظمى من سكان منطقة خراسان فى ذلك الوقت. ولم يكن هؤلاء الترك تحت زعامة قائد واحد، ولكنهم كانوا عبارة عن بكويات (امارات) صغيرة متناثرة يحكمها أمراء عديدون. ولم تكن بينهم وحدة سياسية على أى مستوى، مما سهل مهمة الجيوش الإسلامية عندما تحركت لفتح هذه المناطق.

وقبل أن يتحرك قتيبة خراسان، تحرك نحو بلخ للتأكد من سلامة الموقف فى طخارستان لتأمين هذه المنطقة. إلا أن حاكم طخارستان جنح إلى السلم حقناً للدماء. ويقال أن حاكم طخارستان كان تركى الأصل يدعى نيزك طرخان ولما رأى قتيبة هذا من شجاعة الحاكم التركى وفطنته، عاد إلى بلخ.

هذا، وعندما نأتى إلى ذكر قتيبة بن مسلم وفتوحاته وبطولاته العديدة وكفاحه لنشر الإسلام، نحس بالفخار والمباهاة، نحس بعظمة من تفانوا فى خدمة الإسلام والمسلمين. ولن نستطيع التفصيل فى حديثنا هذا عن بطولات القائد العظيم قتيبة فبطولاته تملؤ كتباً كثيرة وكفاحه طويل وشاق. وحسبنا من ذلك أن نوجز بقدر الامكان. وظل قتيبة الحكم الإسلامى فيما وراء النهر، وفتح بعض البلاد الأخرى كبيكند وبخارى وسمرقند وفرغانة والشاش (أى طشقند) وكاشغر، حتى صار على حدود الصين..

كان الإسلام خاتم الديانات التى وفدت على الترك فى آسيا الوسطى. وقد وقعت أهم الانتصارات التى أحرزها الإسلام والعرب فى مواطن الترك بين سنتى ٨٦هـ، ٩٦هـ (٧٠٥، ٧١٤م)، وهى الفترة التى حكم فيها قتيبة بن مسلم بلاد خراسان فقد كان الإسلام رغم مقاومة الأتراك المعروفين بـ(توكيو) يتقدم فى اتجاه الشرق.

كان سكان سمرقند وبخارى يقاومون العرب على صورة اضطر معها العرب إلى حمل أسلحتهم فى الأماكن العامة وفى داخل المساجد، ولكنهم

وفى أواخر عهد الخليفة عثمان وفى عهد الخليفة على فقد المسلمون خراسان وطخارستان بمثل السرعة التى فتحت بها هذه المناطق بسبب القلاقل الداخلية بل ان الفتوحات توقفت تماماً.

وهكذا، ورغم ما بذله العرب من جهد لفتح بلاد ما وراء النهر فى عهد الخلفاء الراشدين، فقد كان تقدمهم بطيئاً، وكانوا يواجهون مقاومة شديدة من سكانها الترك.

وهكذا رأينا أن العرب والترك أصبحوا وجهاً لوجه بعد سقوط الدولة الساسانية ومع بدء الهجمات على خراسان وما وراء النهر وطخارستان بدأت العلاقات العسكرية بين العرب والترك، واستمرت طوال قرن من الزمن فى شكل صدامات عنيفة...

اجتهد الحجاج بن يوسف الثقفى بعد أن تولى حكم العراق سنة ٧٥هـ (٦٩٤م) من قبل الوليد بن عبدالملك إلى اخماد القلاقل والاضطرابات المنتشرة فى المناطق التابعة للعراق فيما وراء النهر، وأعاد فتحها مرة أخرى.

كلف المهلب بن أبى صفرة وكان ادارياً وقائداً ناجحاً لمنطقة خراسان بفتح طبرستان والقضاء على تمرد الترك فيها سنة ٧٨هـ (٦٩٧م) وقد نجح المهلب فى ذلك ثم تقدم نحو مرو. إلا أنه لم يتمكن من فتح كش رغم حصاره لها الذى امتد لفترة عامين اثنين، وباء بالفشل، ثم قفل راجعاً. ومات وهو فى طريق العودة عند بلدة مرو سنة ٨٢هـ (٧٠٢م). ثم تولى ابنه يزيد مكانه. وقد قام يزيد ببعض المعارك فى المناطق التى تشمل خوارزم وباجيس وفرغانة. وقد أدى هذا الفشل إلى غضب الحجاج على يزيد، فعزله وحبسه لإثارته الفتن والقلاقل بين القبائل أيضاً.

ثم تولى حكم خراسان فيما بعد أى ٨٦هـ (٧٠٥م) قتيبة بن مسلم وهو يعتبر الفاتح الحقيقى لمنطقة ما وراء النهر، ويعزى إليه الفضل فى نشر الإسلام فى هذه المناطق بين قبائل الترك وعندما تولى قتيبة بن مسلم حكم منطقة خراسان كانت هناك مخاطر كثيرة على حدود منطقة خراسان وأخطر

لهم الهدايا فلما كان عهد المعتصم ٢١٨–٢٢٧هـ (٨٣٣–٨٤٢م) كانت غالبية الترك قد أسلمت، ثم زاد تدافقهم على بغداد للانخراط فى سلك الجيش بعد أن انتصر عليهم. وظل الاتراك يدخلون فى الإسلام إلى منتصف القرن العاشر الميلادى. وكان الأعيان إذا أسلموا أسلم أتباعهم معهم. ومن كبار من أسلموا فى ذلك الوقت ساتوق بغراخان مؤسس دولة ايليك خان، فقد أسلم معه قومه وهم ألفا أسرة. وكذلك أسلم سلجوق رأس الأسرة السلجوقية وأسلمت قبيلته فى بداية القرن العاشر.

استخدم الترك على نطاق ضيق فى الجيش وفى الادارة منذ العصر الأموى. وقد بدأ تسربهم إلى بعض البلاد العربية– خاصة الشام والعراق– منذ أن احتك العرب بهم فى أواسط آسيا زمن الفتوحات العربية. وأول من اعتمد على الترك بشكل واسع بعد ذلك هو الخليفة العباسى المعتصم، ليوازن بهم الفرس والعرب على حد سواء، خاصة وأن هذه القوات التركية كانت بدون جذور محلية، مما جعل ولاءها متجهاً بالدرجة الأولى نحو السلطة المركزية. وقد بلغ من اهتمام الخليفة العباسى المعتصم بالترك أن بنى لهم مدينة سامرا.

جهود الأتراك فى نشر الإسلام

تأثر الترك بالإسلام وأثروا فيه عملاً وعلماً– فساهموا فى ذلك الواجب بنصيب موفور ليس فى بلادهم فقط بل خارج حدودهم فقام دعاتهم بنشر الإسلام فى بلاد التبت وبين اخوانهم المغول بهضاب (مغولستان) أى منغوليا كما أسلم على أيديهم عدد كبير من بلاد الصين.

ولم تقف جهود الدعاة الترك عند هذا الحد فقد اتصلوا بالترك البلغار وسواحل نهر فولجا (ايتل) ووصلوا إلى بولندا واستونيا كان لهم أثر بالغ فى نشر الإسلام بين الكثير من أهلها.

وقد خلد التاريخ الإسلامى السلطان محمود الغزنوى الذى كان لفتوحاته فى الهند صدى عظيماً فى العالم الإسلامى. فقد حطم هذا السلطان التركى

مع ذلك كانوا يؤلفون قلوب الترك فكانوا يمنحون درهمين لكل تركى فى كل مرة يذهب فيها إلى المسجد كما سمحوا بقراءة القرآن باللغة الفارسية بدلاً من العربية حتى يستطيعوا جميعاً فهمه فى سهولة ويسر.

ومن الجدير بالذكر أن قتيبة بن مسلم لما وفد على سمرقند وجد هناك كثيراً من الأصنام كان عبدتها يعتقدون أن كل من أثار تعرض للموت. على أن الفاتح المسلم لم يأبه بهذه المخاوف التى أثارتها تلك الخرافات، ومن ثم لم يحجم عن إحراق الأصنام. وكان من أثر ذلك العمل أن دان بالإسلام عدد كبير من الناس.

ولم تتوقف حركة الفتح الإسلامى بموت قتيبة بن مسلم، بل استمر فيها الذين خلفوه فى حكم خراسان، وتوطدت أقدام العرب فيما وراء النهر. وفى سنة ١٢٥ هـ توفى هشام بن عبدالملك وتضعضع مركز الخلافة. فأقام «نصربن سيار» فى خراسان وأقلع عن غزواته فيما وراء النهر خوفاً من القلاقل والفتن. ثم ظهرت دعوة بنى العباس وانتهت الدولة الأموية وقامت الدولة العباسية فى سنة ١٣٢ هـ (٧٤٩م) وبانتهاء الدولة الأموية انتهت الفتوحات الإسلامية التى وصلت حدودها فى الشرق إلى الصين وفى الغرب إلى الأندلس.

وهكذا نرى أن الدولة الأموية بذلت جهوداً جبارة فى مناطق كثيرة فى الشرق والغرب ونشطت فى عهدها الفتوحات الإسلامية، وبلغت الذروة. وقد ساهم الأمويون فى نشر الدعوة الإسلامية وأخلصوا فى نشرها وبذلوا جهوداً مكثفة حتى وصل الإسلام إلى حدود الصين وإلى الأندلس — وقد كان القائد العظيم قتيبة بن مسلم أهم الفاتحين الإسلاميين فى عهد الدولة الأموية. فبجهوده وذكائه وفطنته انتشر الإسلام بين كثير من مناطق خراسان وما وراء النهر.

أخذ الإسلام يتقدم فى عهد بنى أمية إلى أن جاء العصر العباسى، وعصر المأمون بوجه خاص ١٩٨—٨١٨ (٨١٣—٨٣٣م)، فزاد دخول الترك فى الإسلام، إذ كان المأمون يدعو أعيان الترك ويخلع عليهم الخلع، ويقدم

هذا... ونذكر هنا نبذة من هؤلاء العلماء العظام ــ حسب فروع العلم والمعرفة قصراً واختصاراً (١).

١ ــ من كبار الصوفية:

إبراهيم بن أدهم البلخى (ت ١٦٠/ ١٦١ هـ)، وإبراهيم البدخشى النقشبندى (ت ١١٦٠ هـ) له مثنوى من ٦٠٠ بيت وشرح كلمات شاه نعمة الله ولى، وأبوزيد البلخى (٣٢٢ هـ) له مؤلفات عديدة فى التصوف وعلم الكلام والتفسير والفلسفة وأبوسعيد بن أبى الخير فضل الله الميهنى (ت ٤٤٠ هـ) الذى قامت بترجمة كتاب حفيده محمد بن منور (أسرار التوحيد فى مقامات الشيخ أبوسعيد) المرحومة الأستاذة الدكتورة اسعاد عبد الهادى قنديل. وعبد الله الأنصارى (ت ٤٨١ هـ) له ترجمة طبقات الصوفية للسلمى.. وكتب أخرى، وعبد الخالق الغجدوانى (ت ٦١٨ هـ) مربى ومرشد الشيخ بهاء الدين النقشبندى البخارى مؤسس الطريقة النقشبندية (ت ٧٩١ هـ)، وعزيز النسفى (ت ٦١٨ هـ) له منازل السائرين والمقصد الأقصى.. وكتب أخرى، وعلى رامتينى البخارى (خواجة عزيزان (٣٣٢ هـ)، وعلاء الدين السمنانى (ت ٧٣٦ هـ) من كبار الصوفية وله آثار ما يقرب إلى ٣٠٠ مؤلف، وأحمد بن إبراهيم اليسوى (القرن ٤ هـ) له ديوان حكمت.. وأخرون كثيرون.

٢ ــ ومن المفسرين العظام:

أبو الليث السمرقندى (ت ٣٧٣ هـ) له تفسيره باللغة العربية وكتب أخرى فى الفقه وعلم الكلام والعلامة جارالله أبوالقاسم الزمخشرى (ت ٥٣٨ هـ) له تفسيره الكشاف وكتب أخرى كثيرة، والشيخ شهاب الدين (ت ٧٨٠) له عيون التفاسير كما له فى التصوف رسالة النجاة، والشيخ على السمرقندى (ت ٩٢٨ هـ) له بحر العلوم فى التفسير، والواعظ الكاشفى الهروى السبزوارى (ت ٩١٠ هـ) له تفسيره الفارسى (المواهب العلية) المعروف بتفسير الحسينى وأبومنصور محمد الماتريدى (٢) له تفسير الماتريدى وكتب أخرى فى الفقه، والحافظ أبوالبركات عبد الله النسفى له مدارك

(١) للتفصيل راجع كتاب أضواء على تاريخ تركستان، تحقيق واضافات نصر الله الطرازى.
(٢) (ماتريد) حسب قول صاحب طبقات الأمم ناحية بين سمرقند وبخارى.

معاقل الشرك والوثنية ودك حصون الكفر ونشر دين التوحيد فى ربوع الهند فدخل الإسلام الملايين تلو الملايين من الهنود، كما أن التركستانيين لم يقفوا عند حد الجهاد بالغزو أو الجهاد بالدعوة بل أيضاً أقبلوا على الدرس والتحصيل، واجتهدوا فى البحث والاستقصاء وكان منهم فى هذا الميدان قادة علم وحملة للواء العلم والدين، والتاريخ سجل العديد من أسماء العلماء الأتراك وأشاد بجهودهم وما كان لهم من أقدام راسخة فى خدمة الدين ورفع شأنه.

ولا شك أنه كان للترك عبر التاريخ السياسى للدولة الإسلامية دور كبير ووضع، فالسجل حافل بأعمال السلاجقة والاتابكة والسامانيين والخاقانيين والغزنويين والمماليك والعثمانيين والشيبانيين والاسترخانيين والمنغينيين وغيرهم.

فقد حارب ملوك تلك الدول ضد الوثنيين والصليبيين وكانوا الحمى لبلاد الشرق والأمة الإسلامية من أخطار المغول الوثنيين ثم كان لهم الفضل بعد ذلك فى دخولهم الإسلام.

إسهامات علماء تركستان
فى التراث الإسلامى

ومع أن إسهامات الأتراك فى التراث الإسلامى حسب ما زعمه محمد طاهر البروسوى كثيرة جداً وتصل نسبتها إلى ثلث مؤلفات المسلمين من سائر الشعوب الإسلامية، وهذا إذا أخذنا فى الاعتبار علماء سلاجقة الروم والدولة العثمانية ــ إلا أننى أذكر هنا مجموعة قليلة من علماء تركستان فقط كشاهد على غيرة علماء تركستان وحماسهم لاثراء التراث الإسلامى وخدماتهم التى قدموها للإنسانية آملاً أن يتذكر العالم الإسلامى تركستان الإسلامية ومجدها التاريخى، تركستان التى أنجبت الإمام أحمد بن حنبل وثلاثة من أصحاب الصحاح الستة، والفارابى وابن سينا والبيرونى والزمخشرى وغيرهم كثير تركستان التى يعيش شعبها الأبى المسلم منذ ست وستين عاماً تحت نير الحكم الشيوعى الذى يحلم أن يجعلها روستان الشيوعية.

٥ ــ علماء اللغة والأدب والبلاغة: أمثال:

أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى الفارابى (ت ٣٩٣هـ) له صحاح الجوهرى وسراج الدين يوسف الخوارزمى السكاكى (ت ٦٢٦هـ) له مفتاح العلوم فى الصرف والنحو والمعانى وآداب المناظرة والعروض، وأسحق بن إبراهيم الفارابى (خال الجوهرى) (ت ٣٥٠هـ) له ديوان الأدب فى اللغة وشرح أدب الكاتب لابن قتيبة، وحميد الدين البلخى (القرن السادس) له مقامات حميدى (فارسى)، وناصر بن السيد بن على المطرزى الخوارزمى (ت ٦١٠هـ) من تلاميذ العلامة الزمخشرى له كتاب الدستور، مرقاة الأدب، المغرب شرح مقامات الحريرى وكتب أخرى ورشيد الدين محمد وطواط البلخى (ت ٥٨٧هـ) له آثار عربية وفارسية أهمها حدائق السحر فى دقائق الشعر (فارسى) وعديد من رسائل عربية.

٦ ــ كبار الفلاسفة والأطباء: أمثال:

أبو الحسين بن عبد الله بن الحسين بن على بن سينا، شيخ الرئيس (ت ٤٢٨هـ) ولد بأفشنة بالقرب من بخارى ومجموع آثاره فى حدود ٢٠٢ إلى ٢٤٠ كتاباً ورسالة، له كتابه القانون وكتاب الشفاء وكتاب الاشارات وكتاب الارصاد وكتب آخرى كثيرة كما له أشعار بالعربية والفارسية، وأبو بكر زين الدين بن إسماعيل الوراق الأزرقى المعروف بالحكيم (ت فى حدود ٤٦٥هـ) شاعر وفيلسوف وطبيب له فى الحكمة سندباد، وفى الطب الألفية والشلفية شاعر وفيلسوف وطبيب له فى الحكمة سندباد، وفى الطب الألفية والشلفية وأبوزيد البلخى من مشاهير الحكماء والأطباء، له الحد الأقصى والانابة من علل الدنيا، وبيان وجوه الحكمة، وأبو العباسى أحمد الطيب السرخسى (ت ٢٨٣هـ) له فى حدود خمسين أثراً، أشهر آثاره نزهة النفوس، المدخل إلى صناعة النجوم، كتاب النفس، كتاب المدخل إلى صناعة الطب وبدر الدين السمرقندى له كتاب الأقرباذين، وأبونصر محمد بن محمد بن اوزلغ بن طرخان الفارابى ــ اكبر فلاسفة المسلمين (ت ٣٣٩هـ) أشتهر بشروحه على مؤلفات أرسطو ولقب بالمعلم الثانى ــ له عديد من الكتب فى الفلسفة، كما له من الكتب الأصلية الخاصة به أمثال كتاب الآلهيات

التنزيل فى التفسير كما له فى الفقه (الكنز) وكتب أخرى، وأبوحفص عمر النسفى له فى التفسير (التنزيل).

٣ ــ من رجال الحديث: أمثال:

الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) إمام المذهب الحنبلى ولد فى بغداد، أما والده من أهالى مرو بخوارزم والإمام أبوعبدالله محمد بن إسماعيل البخارى (ت ٢٥٦هـ) له الجامع الصحيح (صحيح البخارى). والإمام محمد بن عيس الترمذى (ت ٢٧٩هـ) له صحاح الترمذى وكتاب العلل، والإمام إسماعيل بن مسلم الشكانى البخارى (ت ٣٢٢هـ) وأبوعبد الرحمن أحمد بن حنبل بن شعيب النسائى (ت ٣٠٣هـ) صاحب السنن الكبرى، وأبوبكر أحمد بن محمد الخوارزمى له جامع الصحيحين فى الحديث، وأبومحمد عبدالله الدارمى (ت ٣٥٥هـ) له المسند فى الحديث، وأبوبكر محمد القفال الشاشى (ت ٣٦٦هـ) من أئمة الفقه الشافعى ومحدث له كتابه المعروف بآداب القاضى.... وآخرون.

٤ ــ من علماء الكلام والفقه وطبقات الفقهاء والأنساب:

علاء الدين على بن التركمانى (ت ٧٥١هـ) له السعدية فى أصول الفقه وكتاب الضعفاء والكفاية مختصر الهداية فى الفقه... وكتب أخرى، وأبوزيد عبدالله بن عمر بن عيس الدبوسى(١) له كتاب الأسرار، تقديم الأدلة وغيرهما، وشمس الأئمة السرخسى (ت ٤٩٠هـ) له المبسوط فى ١٥ مجلداً وأصول الفقه وغيرها، وشيخ الإسلام رضى الدين السرخسى (ت ٦٧٦١هـ) له كتاب الذخيرة، المحيط، والفتاوى الصغيرة، ومجد الدين محمد السمرقندى له شرعة الإسلام، وبرهان الدين المرغينانى (ت ٥٠٣هـ) له كتاب الهداية وكتب أخرى، والسمعانى المروى (ت ٥٦٢هـ) له كتاب الأنساب.... وآخرون كثيرون.

---

(١) ديوس قرية بين بخارى وسمرقند.

الطوسى. وهم جميعاً من شعراء القرن الرابع الهجرى وهم: أبوعلى محمد بن أحمد البلخى، وأبوالمؤيد البلخى، وأبومنصور محمد بن أحمد الدقيقى الذى تعرف شاهنامته بكشتاسب نامه، وقد أوردها الفردوسى الطوسى فى شاهنامته كما هى. وأما الشعراء الذين لهم قصائد وغزليات ومثنويات ورباعيات فهم: أبوشكور البلخى (ق ٤ هـ) له آفرين نامه، وأبوعلى المروذى له قصائد ورباعيات، وباخرزى البخارى (ق ٧ هـ)، وبديع (البلخى) (ق ٤ هـ) له پندنامة انوشيروان، وروحى الولواحى (ق ٦ هـ) من ماوراء النهر له أشعار هزلية، والرودكى السمرقندى أبوالشعر الفارسى، وسوزنى السمرقندى (ق ٦ هـ)، وشاكر البخارى وشاهى السبزوارى (ق ٩ هـ)، والشاعر الحكيم شهيد البلخى (ق ٤ هـ) كان له يد طولى فى أنواع الشعر من معاصرى رودكى وضياء الخجندى (ق ٧ هـ)، وظهيرالدين الفارابى (ق ٦ هـ)، وعباس المروزى (ق ٣/٢ هـ) له قصيدة فى مدح الخليفة المأمون قدمها بمناسبة زيارته مدينة مرو، وعمعق البخارى (ق ٦ هـ)، وهلالى الجغتائى (ق ١٠ هـ) له عدة مثنويات.

أما عن شعراء الأدب الجغتائى يمكن أن نشير إلى أحمد اليسوى الشاعر المتصوف الكبير وشاهرخ وبايسنقرميرزا، والسلطان حسين بايقرا وهم حفدة تيمور حكموا تركستان وازدهر العلم والفن فى عهدهم.

والشاعر العظيم الوزير نظام الدين على شيرنوايى (ت ٩١٦ هـ) له ديوانه بالجغتائية. وكتب أخرى، ومظفرالدين بابر مؤسس الدولة التيمورية فى الهند له ديوانه ومثنويه المسمى بمتين وكتابه المنثور عن ذكرياته المسمى بابرنامة، وصوفى الله يار وديوانه مشرب من شعراء الصوفية فى فرغانة.

أما عن الشاعرات نذكر اجمالاً أسماء عائشة السمرقندية، وعظمت السمرقندية ومهرى ونورجهان وعصمتى ودخترکاشغرى.

٩ ــ أما عن المؤرخين وعلماء الجغرافيا وأصحاب تذاكر الشعراء: نذكر باختصار اسماء أبوالغازى بهادر خان حاكم خيوة والمؤرخ الجغتائى (ق ١١ هـ)، ومير عبدالكريم البخارى له تاريخ آسيا الوسطى ترجمة

ورسائل كثيرة، وعبد الرحمن الحسن القطان المروزى من مشاهير الحكماء والرياضيين، له الروضة فى الأنساب ورسائل فى الطب والهيئة.

٧ ـ علماء الهيئة والفلك: أمثال:

أبو ريحان محمد بن أحمد البيرونى الخوارزمى (ت ٤٤٠ هـ) من أعلام الرياضيات وله الفضل فى انتشار المدنية الإسلامية بالهند ذلك لمرافقته السلطان محمود الغزنوى كان عالماً موسوعياً يقال أن له حوالى ١١٣ أثراً، وأهم آثاره الآثار الباقية عن القرون الخالية، مقاليد الهند، قانون الارشاد فى أحكام النجوم، التفهيم لأوائل صناعة التنجيم.

وأبو معشر جعفر بن محمد البلخى (ت ٢٧٢ هـ) يقال أن مؤلفاته أكثر من مائة منها كتاب القرانات، وكتاب المفصل الكبير وغيرهما ويمكن أن نلاحظ فى آثاره المؤثرات التى أحدثتها وقتذاك فى العلوم العربية التيارات الوافدة من بلاد فارس والهند.

وأولغ بيك (ت ٨٦٢ هـ) من أمراء ما وراء النهر ومن علماء النجوم، أنشأ مرصداً بسمرقند له زيج مسمى بزيج أولغ بيك تمت ترجمته إلى اللغات الأوربية، ومحمد بن محمد الجغمينى مؤلف كتاب فى الهيئة المعروف باسمه شرحه سيد شريف وقاضى زاده الرومى.

ومحمد بن موسى الخوارزمى فى القرن الثالث الهجرى لاثارة قيمة كبيرة فى أوربا، له المختصر فى حساب الجبر والمقابلة، تمت ترجمته إلى اللغة اللاتينية والانجليزية وقد قام بترجمة كثير من الكتب اليونانية فى عهد الخليفة المأمون ويعتبر أول عالم للجبر، وأحمد بن كثير الفرغانى من علماء الهيئة فى عهد الخليفة المتوكل (٢٣٢ـ٢١٧ هـ) له أثره الخالد فى علم الهيئة تمت ترجمته إلى اللاتينية وهو الذى أنشأ المقياس الجديد للنيل فى مصر.

٨ ـ مشاهير الشعراء:

هناك مئات من الشعراء نظموا الشعر بالعربية والفارسية والتركية، وهم من أبناء تركستان ويطول ذكرهم هنا.. ولذلك نكتفى بالاشارة أولاً إلى ثلاثة شعراء كان لهم الفضل فى كتابة الشهنامات قبل الفردوسى

يقول العلامة فى سبب أنشادها: «قصيدة بشأن وطنى تركستان المنكوبة أنشأتها باللغة التركية حينما دخلت مهاجراً إلى الله ورسوله بلدة «اندخوى» من حدود افغانستان فى ذى القعدة سنة ١٣٤٨ هـ ورأيت فيها حكومة إسلامية فى ظل ملكها محمد نادر شاه وشعباً يعيش عيشاً سعيداً هادئاً متمتعاً باستقلال بلاده، ففكرت تفكيراً عميقاً فيما يعيش فيه الشعب التركستانى المسلم من الضعف والذل تحت نير الاستعمار الروسى الامبراطورى ثم الشيوعى بعد زوال حكومته الإسلامية، فأنشأت هذه القصيدة، وقد ذكرت أسباب نكبة تركستان ومصائب شعبها المؤمن، مما فيه نصيحة وذكرى للمسلمين ــ قلت:

إن الضعف والانهيار اللذين أصابا الأمة الآن
سببهما مرض قلوب المسئولين عن شئونها.
وقلب نظام الحكم فى ساحة الوطن
سببه الظلم والجور اللذين ارتكبهما حكامنا
إن ضياع أمتنا ومحو وزوال أمجادنا
نتيجة لما فى ذات أنفسنا من بغى وفساد وفتنة (١)
وما ضاعت نعمتنا وراحتنا
إلا لعظيم كفرنا وعدم شكرنا (٢)
إن عجز هؤلاء المسلمين السذج وتخلفهم
وبؤسهم وفقرهم .. يعود لسوء حظهم
إن سبب تأوهات الأرامل والعجائز من النساء
لهو من خللٍ أصاب الغيرة فى قلوب رجال الوطن (٣)
أما تفشى النقمة والجور والظلم بين القوم
فمن غفلة المواطن وسوء عمله.

---

(١) إشارة إلى الآية الكريمة: «ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون».

(٢) إشارة إلى الآية الكريمة: «لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد».

(٣) لأنهم لم يؤدوا فريضة الجهاد على أتم وجه وأكمله.

المستشرق الفرنسى شيفر ونشره سنة ١٨٧٦م، ومحمد البلخى صاحب أقاليم البلدان، والإمام محمد بن إسماعيل البخارى له ثلاثة تواريخ: التاريخ الكبير والتاريخ الأوسط والتاريخ الأصغر، وأبوسلمان فخرالدين بناكتى (من ماوراء النهر) مؤرخ المغول، وأبوريحان البيرونى له أحوال الهند، وحافظ ابرو الهروى له زبدة التواريخ وخواند مير (ت ٩٤١هـ) له خلاصة الأخبار تلخيص روضة الصفا وحبيب السير ومير خوند (ت ٩٠٣هـ) له روضة الصفا فى ستة مجلدات، وأبوبكر النرشخى (ت ٣٤٧هـ) له تاريخ بخارى نشره شيفر ومدرس رضوى وترجم إلى العربية ولغات أوربية، ونجم الدين الراوندى (ق ٦هـ) له راحة الصدور وكمال الدين السمرقندى له مطلع السعدين فى مجلدين، والسمعانى المروى (ت ٥٦٢هـ) له كتاب الأنساب وتاريخ مرو، ودولتشاه السمرقندى له تذكرة الشعراء، والعوفى البخارى له لباب الألباب، ومحمد الفرغانى له ذيل تاريخ الطبرى، وحسين الواعظ الكاشفى (ت ٩٣٩هـ) له روضة الشهداء، ونورالدين محمد النسوى له تاريخ جلالى ألفه (٦٣٩هـ)، ونظام الدين الهروى له تاريخ تيمور، وأبوالروح عيسى الهروى له تاريخ هراة وآخرون كثيرون... ونضيف هنا تزك تيمورى لتيمور لنك وتزك بابرى أو بابر نامة لمظفرالدين بابر ومجالس النفائس للوزير نظام الدين على شيرنوائى

وهكذا استمر الترك فى تركستان فى خدمة الإسلام ونشر تراثه المجيد، إلا أنهم لأسباب عديدة يطول ذكرها وقعوا فى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى تحت نفوذ الروس القيصرى وكانت تحكم تركستان ثلاث امارات إسلامية مستقلة وهى امارة فرغانة وامارة بخاري وامارة خيوة. وكانت طشقند وسمرقند وبخارى ومرو مراكز اشعاع للثقافة والحضارة الإسلاميتين، وقسم الاستعماران الروسى والصينى تركستان بينهما كما بينا آنفاً. اما بعد الثورة البلشفية وفى سنة ١٩١٨ غزت الجنود الروس الشيوعيون تركستان الغربية واستولت على اماراتها واحدة تلو أخرى وبليت تركستان وفيها قبة الإسلام بخارى بنكبة عظمى يقول العلامة المجاهد وداعية الإسلام أبوالنصر مبشر الطرازى رضى الله تعالى عنه وأرضاه فى قصيدة تركية له عن أسباب هذه النكبة ما يلى:

لهى من لهيب وجدانه وتمسكه بالدين.
لقد طال الأسر وحكم الظلم فى الوطن
فهل له منجاة من همه هذا؟
ألا تنجو الأمة المظلومة المعذبة
بدموع الأبرياء من المعصوبين التى تنساب من العيون؟
لا، لا يجنح بك الخيال يا نور عينى وسيدى
أنظر إلى محنتك وابحث عن أسبابها الأساسية ثم حلّها!...

نص القصيدة بالتركية

ملتدة بودم واقع اولان ضعف وتنزل
اصحاب شئونندە كى قلبى مرضندن
يا خود وطنك ساحه سنده قلب حكومت
حكا ممزك ايتديكى ظلم وستمندن
ملييتمز، عنعنه مز محووزوالى
اوزنفسمزك بغى وفساد وفتنندن (١)
نعمتلريمز، راحتمز گيتديكى باده
كفرا نمزك چوقليغى، شكرك عندمندن (٢)
اول ساده مسلمان همه مسكين وفقيرك
بيچاره لكمى، مانده لكمى، بخت بدندن
معصوم اولان اطفالمزك داد وفغانى
راعى اولن اربا بنى قسوتلى دلندن
آه اورديغى اول بيوه زن وپيره زنانى
مردانِ وطن قلبنده غيرت خللندن (٣)

---

(١) «ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون» آيته اشارتدر.
(٢) «لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد».
(٣) فريضة جهادى ــ كما هى المطلوب ــ كاملاً تادية ايده مديلر.

وما حلّت أنواع العذاب على كل طائفة
إلا لما ارتكبته من معصية وما اقترفته أيديها.
إن ضياع أملاك أصحاب الملك من حدائق وبساتين
لمن الضرر الذى ألحقوه بالضعفاء والمساكين
وضياع أموال الأغنياء وثرائهم
لهو بسبب عدم تأديتهم الزكاة وكبرهم وغرورهم
أما حصر التجار وقيدهم بتأميم أموالهم ومصادرتها
فنتيجة للغبن والخيانة اللذين ارتكبوهما.
إن سجل الجهل الذى أخذه المستفتون
لمن الأقلام السيئة الماجنة للمفتين
وحرمان الطالب من الاستفادة من علم القال (١)
سببه الطموح المعوجة لأستاذ عديم الحال (٢)
أما حرمان السالك من أنوار الصفاء
فسببه ابتلاء قلب المرشد بالكدر والأهواء
وانتصار العدو فى ساحة الوغى
من ضعف عقيدة المجاهدين وضياع آمالهم
وهذه القوة والقدرة التى وجدها المستعمر فى نفسه
مردها ضعف عزم الأمة وكسلها.
إن اصفرار الخدود الوردية لشجعان هذا الوطن
مرده تردد القائد وعدم حسمه الأمور بالعقل
وما لحق بالوطن وشئونه من إهمال
سببه سوء أغراض سادته المسئولين.
إن الهزيمة التى لحقت بالطرازى وهو متحدث يتقن الكلام
سببها مكر الدهريين وتضليلهم الشعب فى تلك الساحة
أما هجرته وترك دياره فجأة

---

(١) أى العلوم النقلية والعقلية.
(٢) عديم الخلق الكريمة.

مغلوبيت، متقن نطاق، طرازى

دهريلرك اول صحنه ده دورو دغلندن

هجرت ايديشى ملكيدن اول طرفة مهاجر

وجدان وديا نتده بوقيزغين عصبندن

چوق قالدى وطن ظلم واسارت اوزرنده

آيا وطنك وارمى نجاتى بوغمندن ؟

اولزمى رها ملتِ مظلوم ومعذب

معصوم وگنه سز اولانك چشم نمندن ؟

خاير، بويله خيال ايتمه گوزم نورى افندم

باق محنتكه چاره اساسى سبيندن !! (١)

* * *

وختاماً لبحثنا لا يفوتنا أن نذكر المخطط الروسى الذى يكمن وراء وصايا قيصر روسيا بطرس الأكبر.

المادة الأولى:

من الضرورى أن تعتاد العساكر على الحرب والقتال دائماً. وينبغى على الأمة الروسية أن تكون على أهبة الاستعداد فى حالة حرب لكى تكون أليفة الوغى. ويترك وقت لراحة العساكر من أجل إصلاح الشئون المالية، مع تنظيم العساكر باستمرار لاقتناص الوقت المناسب للهجوم فى حينه. وعلى هذه الصورة ينبغى على روسيا أن تستفيد من وقت الصلح والأمان فى زيادة قوتها وتوسيع مجال منافعها، فتتخذ من الحرب وسيلة للصلح.

المادة الثانية:

ينبغى اتخاذ جميع الوسائل الممكنة فى وقت الحرب للاستعانة بضباط للجنود من بين الملل والأقوام الذين هم أكثر تقدماً فى أوربا. كما ينبغى

(١) العلامة أبو النصر مبشر الطرازى: أزهار حديقة الحياة «ديوان مخطوط».

قوم ایچره اولان نقمت وبیداد ومظالم

افرادی نك اول غفلت وسوء عملندن

هر طائفة نك دو شدیکی انواع عذابه

کندی عمل ومعصیت وکسب یدندن

بر صاحبی نك ضائعهٔ باغ ایله راغی(۱)

بیچارة لره یا پدیغی شاید ضررندن

بای(۲) توده لرك گیتدیکی اموال وغناسی

فرضك عدم تأدیه سی(۳)، کبر سرندن

تاجر لری اول قالدیغی محصور ومقید

ممکن که قیلان غبن وخیانت اثرندن

مستفتی لرك آلدیغی اول سجل جهالت

مفتی لرك(٤) اول ماجن اولان بد قلمندن

بی بهره لکی طالب قالك طلبنده

بی حال اولان استاذك اول آمال کجندن

محروم اولوشی سالکك أنوار صفادن

مرشد لرك اول زنگ هوا، مکدرتندن

غالب گلیشی دشمنك میدان وغادة

غازی لرك اول ضعف عقیده واملندن

مستعمرك اول بولدیغی بوقوت وشوکت

ملتدة اولان سستی عزم وکسلندن

صرغایدیغی کل یوز لری شیران وطننك

قائد اولانك ذبذبه وعقل کمندن

اهماله بوگون اوغرادیغی شأن وطن نك

مسئول اولان اربا بنی سوء غرضندن

---

(۱) یر، صو واملا کلری. (۲) زنگین.

(۳) فریضهٔ زکات وعشر وصدقاتده قصور لرندن.

(٤) ملت ضلالتنه سبب اولان علماء سوء.

المادة السابعة:

تعتبر انجلترا أكثر الدول احتياجاً إلينا فى الأمور البحرية، ولهذه الدولة أيضاً نفع كبير فى زيادة قوتنا البحرية. ومن الضرورى الاتفاق معها فى أمور التجارة وتفضيلها فى ذلك على سائر الدول. وبيع إنتاج بلادنا من الأخشاب وسائر الأشياء إلى انجلترا، وشراء الذهب منها. وينبغى تقوية الروابط التجارية بين البلدين لترويج التجارة والملاحة البحرية فى بلادنا.

المادة الثامنة:

على الروس أن ينتشروا شمالاً على سواحل بحر البلطيق وجنوباً على سواحل البحر الأسود يوماً فيوماً.

المادة التاسعة:

ينبغى الاقتراب بقدر الإمكان من استانبول والهند. ولأن من يحكم استانبول يستطيع أن يحكم العالم بأسره، فلذلك ينبغى إعلان الحرب باستمرار على الدولة العثمانية تارة وعلى إيران تارة أخرى. ومن الضرورى السيطرة على البحر الأسود شيئاً فشيئاً، لإنشاء دار للصناعات البحرية عليه، والاستيلاء على بحر البلطيق أيضاً لأنه من ألزم الضروريات للوصول إلى المقصود. وينبغى العمل بسرعة على إضعاف إيران بل زوالها من الوجود، لكى يسهل علينا الوصول إلى خليج البصرة. ومن الممكن إعادة تجارة الممالك الشرقية القديمة إلى بلاد الشام، للوصول إلى بلاد الهند التى تعتبر بمثابة مخزن للعالم، وبهذا نستغنى عن ذهب انجلترا.

المادة العاشرة:

ينبغى العمل على عقد اتفاقيات صداقة واتحاد مع النمسا، وتشجيعها على التدخل فى ألمانيا وعلى زيادة نفوذها فيها فى الظاهر. أما فى الباطن فالواجب يقتضى منا أن نزرع بذور الشك والعداوة بين النمسا وألمانيا، لدفع كل منهما لطلب العون والمدد من روسيا، حتى يمكن التغلب عليهما فى المستقبل.

اتباع نفس الأسلوب فى وقت السلم بإحضار أرباب العلم والمعرفة منهم أيضاً. ومن الضرورى الاهتمام بما يجعل الأمة الروسية تستفيد من مميزات سائر الممالك لتحسين الأوضاع بها.

المادة الثالثة:

ينبغى التدخل فى مجريات الأمور والأوضاع فى أوربا كلما أتيحت الفرصة. كما ينبغى التدخل فى الخلافات والمنازعات الجارية بها، وخاصة ما يجرى فى ألمانيا القريبة منا للاستفادة من ذلك مباشرة.

المادة الرابعة:

ينبغى استعمال الرشوة لإلقاء الفتنة والفساد وإثارة الاضطرابات الداخلية فى بولونيا، واستمالة أعيانها عن طريق تقديم الأموال لهم. والعمل على السيطرة على مجلس الحكومة حتى يمكن التدخل فى انتخاب الملك. وبعد حصول من هو من أنصار روسيا على الملك، ينبغى دخول عساكر روسيا إلى بولونيا بحجة حمايتها، مع الاهتمام بإقامة العساكر هناك فترة طويلة. وإذا حدث تنافس من دولة مجاورة، فالواجب يقتضى تقسيم النفوذ حرصاً على إخماد نار الفتن والقلاقل مؤقتاً، وتحين الفرصة لاسترجاع النفوذ لروسيا كاملاً.

المادة الخامسة:

ينبغى الاستيلاء على بعض مناطق السويد بقدر الإمكان. ثم نسعى بعد ذلك لاغتنام الفرصة للاستيلاء على الباقى. ولا يتأتى ذلك إلا عن طريق استفزاز السويد لمهاجمة روسيا. وعلينا أن نزرع بذور الفتنة والفساد والخلاف بين السويد والدانمرك على الدوام لتحقيق الفرقة بينهما.

المادة السادسة:

يجب على أسرة الامبراطورية الروسية أن يتزوج أفرادها من بنات العائلة الملكية الألمانية لتقوية الروابط مع ألمانيا، تمهيداً لزيادة النفوذ فيها واستغلال ذلك لمصلحة روسيا.

كثيرة. ثم تهجم السفن الروسية على سواحل فرنسا، فى الوقت الذى تكون فيه ألمانيا مشغولة بأحوالها. وبهذا يمكن التغلب على القوتين الموجودتين فى أوربا (فرنسا والنمسا). أما ما يتبقى من الدول الأوربية فإنه يدخل طواعية تحت نفوذ روسيا، وبهذا تتم السيطرة الشاملة على أوربا.